الجامعـــة الأردنيـــة

كلية الدراسات العليا

٥٢١
٠٠٦
١٥٨

مفهوم البلاغة عند ابن قيّم الجوزية (-٧٥١هـ)

حسين أحمد حسين كتانة

عميد كلية الدراسات العليا

إشراف

د. محمد علي أبو حمدة

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.

١٩٩٥

٢٣
١٧/٢/١٩٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٧ / ١٢/ ١٩٩٥م واجيزت.

أعضاء اللجنة			التوقيع
١. د. محمد علي أبو حمدة	(المشرف)	رئيساً	
٢. أ.د. محمد بركات أبو علي		عضواً	
٣. د. عبـــدالكريم الحيـاري		عضواً	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى معلم البشرية ومنقذ الإنسانية، إلى سيدي وحبيبي محمد رسول الله *صلى الله عليه وسلم*.

إلى من غرس في نفسي حب العلم والخير...إلى روح والدي الطاهرة -رحمه الله -.

إلى من وصّاني ربي ورسوله ببرّها والوفاء لها ... إلى أمي الحنون .

إلى من سقاني نبع الحب الصافي وقدم العون بسخاء ...

إلى إخواني وأخواتي...

إلى أبي الروحي شقيقي أبي محمد .

لهم جميعا أهدي هذا الإنجاز.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكر

أتقدم بجزيل الشكر ووافر العرفان إلى أستاذي الدكتور محمد علي أبو حمدة، الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، على ما بذله من جهد في متابعة هذه الرسالة فكانت توجيهاته القيمة عونا كبيرا لي في البحث والمتابعة، فجزاه الله عني خير جزاء.

وأشكر أعضاء لجنة المناقشة: أستاذي الكريمين الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي الذي أرشدني إلى هذا البحث والدكتور عبدالكريم الحياري، كفاء ما أنفقاه من وقت وجهد في قراءة البحث ومناقشتي به ، ولما أسدوه لي من توجيه وتسديد.

كما أشكر كل من ساهم في إخراج هذه الرسالة على أكمل وجه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	جـ
الشكر	د
المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ي
التمهيد	١-١٣
ابن قيم الجوزية	٢
حياته	٣
شيوخه	٣
الحالة الثقافية في عصره	٤
الحالة السياسية للبلاد في عصره	٦
ثقافة ابن القيم ومؤلفاته	٩
تلاميذه	١١
شخصيته	١١
الفصل الاول	١٤-٨٥
الجانب البلاغي عند ابن القيم في التفسير	١٤
الحروف في القرآن	١٧
الحروف المقطعة	١٨
الحروف تحذو حذو المعاني	٢٠
ما سبب زيادة حرف الميم في اللهم	٢٣
الحرف المكرر	٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— حروف المعاني	٢٧
واو الثمانية	٣٠
التعبير بـ(على) دون (الباء)	٣٥
التعبير بـ(على) دون (اللام)	٣٧
التعبير بـ(على) دون (الى) أو (الفاء)	٣٩
الكلمة في القرآن الكريم	٤٣
الفروق الدقيقة بين المترادفات	٤٣
الزوج والمرأة	٤٥
مرضع ومرضعة	٤٩
(ما ضلَّ صاحبكم) دون" ما ضَلَّ محمد"	٥٢
إيثار المفرد على الجمع، أو الجمع على المفرد	٥٢
السماء والأرض	٥٣
الريح والرياح	٥٨
الظلمات والنور	٦٠
سبل الباطل وسبيل الحق	٦٠
الشمائل واليمين	٦٠
بناء الجملة في القرآن الكريم	٦٣
(ولله على الناس حج البيت....)	٦٤
خطاب الله تعالى للمؤمنين.	٦٩
(ولكم في القصاص حياة)	٧١
التمثيل	٧٣
ابن القيم وأمثال القرآن	٧٤
(مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً)	٧٥
(فمثله كمثل الكلب)	٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً...) ٨١

(كأنهم حمرٌ مستنفرة...) ٨٣

(كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) ٨٣

الفصل الثاني ٨٦-١٥٥

ابن القيم بلاغياً ٨٧

منابع بلاغة ابن القيم ٨٧

الهدف من تأليفه "الفوائد المشوق.." ٨٨

عرض لكتاب "الفوائد المشوق" ٩١

طريقة ابن القيم في الدرس البلاغي ٩٤

التذييل ٩٥

الاختراع ٩٧

التكميل ٩٨

التجنيس ٩٩

أهمية الفوائد المشوق ١٠٣

تأثر ابن القيم بالبلاغيين الذين سبقوه ١٠٥

قدامة بن جعفر ١٠٥

أبو هلال العسكري ١٠٦

أسامة بن منقذ ١٠٦

فخر الدين الرازي ١٠٧

ضياء الدين بن الأثير ١٠٨

ابن أبي الأصبع المصري ١١٠

الشيخ عز الدين بن عبد السلام ١١١

إضافات لابن القيم ١١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلح البلاغي عند ابن القيم	١٢٤
الاقتباس	١٢٤
ما يوهم فساداً وليس بفساد	١٢٦
تنسيق الصفات بغير حرف النسق	١٢٧
الهدم	١٢٨
الغرابة والظرافة والسهولة	١٢٩
الزيادة في البناء	١٢٩
السؤال والجواب	١٣٠
المؤاخاة	١٣٠
المزلزل	١٣١
المحتمل الضدين	١٣١
المغالطة	١٣٢
النادر والبارد	١٣٣
التطريز	١٣٣
الرجوع والاستدراك	١٣٥
التشعيب	١٣٦
التفقير	١٣٦
التفويف	١٣٧
التقسيم	١٣٨
الحمل على المعنى	١٣٨
الإشارة	١٣٩
التورية	١٤٠
التجزيء	١٤٠
الاختصاص	١٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما يقرأ من الجهتين	١٤٢
الوصف	١٤٣
المدح والذم	١٤٣
الحمد والشكر	١٤٤
الرثاء والتعزية	١٤٤
الشكاية	١٤٥
الحكاية	١٤٥
الاقتضاء	١٤٥
التذكير	١٤٦
الوعد والوعيد	١٤٦
العتاب والأنذار	١٤٧
الأعتاب	١٤٧
الاعتذار	١٤٧
السهل الممتنع	١٤٨
التضمين	١٤٨
الاستطراد	١٤٩
حول المصطلح البلاغي عند ابن القيم	١٥١
الخلاصة	١٥٣
قائمة المصادر والمراجع	١٥٥
الملاحق : فهرس الآيات القرآنية	١٦٧
فهرس الأحاديث النبوية	١٨٢
فهرس الأبيات الشعرية	١٨٣
الملخص باللغة الانجليزية	١٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

مفهوم البلاغة عند ابن قيم الجوزية (-٧٥١هـ)

حسين أحمد حسين كتانة

إشراف :

د. محمد علي أبو حمدة

احتلت البلاغة ومباحثها حيزاً كبيراً ضمن البحث الزاخر لابن قيم الجوزية في مجال العلوم القرآنية والفقهية والكلامية .. لكنها لم تنل تلك الشهرة التي نالتها تلك البحوث ، وذلك أن شهرة ابن القيم الأصولية غلبت شهرته اللغوية.

درس ابن القيم البلاغة ضمن الإطار القرآني، فهي بلاغة تطبيقية تأخذ بمجامع ما ورد عند البلاغيين وتستعين بما يمدها المعين القرآني من شواهد وأمثلة دالة.

ولم يقتصر ابن القيم في خوض غمار هذا البحر على تطويع الأمثلة القرآنية للبحث البلاغي بل أمده حسه البلاغي بفهم متميز للقرآن العظيم ، وقدرة عظيمة على استخراج اللطائف البيانية والأسرار البلاغية وتوجيه الآيات توجيها تظهر فيه البراعة وحسن الابتكار ، وتبرز قدرته على استخراج النكت والأسرار في مواطن الإعجاز ، فهو يهتم بإبراز الجمال البلاغي في الصوغ القرآني.

خصص ابن القيم "كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" للدرس البلاغي، ناثرا درره البلاغية ولمحاته البيانية ضمن كتبه التي تناولت القرآن وعلومه " كالتبيان في أقسام القرآن" و " بدائع الفوائد" وتفسيره للقرآن الكامن في جل مؤلفاته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن معين القرآن بنى ابن القيم معظم مصطلحاته البلاغية مرتكزا على طبيعة الاستخدام القرآني لتلك الظاهرة وذلك الفن ، وههنا نجده قدتميز عن غيره بتحديد بعض المصطلحات البلاغيه التي لم ترد عندهم، لكنه وافق البلاغيين السابقين في كثير مما أوردوه حول المصطلحات والفنون البلاغية مع تفصيل تارة وإجمال تارة أخرى.

اعتمد ابن القيم على ما أورده علماء البلاغة الذين سبقوه من مثل : ضياء الدين بن الأثير وفخر الدين الرازي والشيخ عزالدين بن عبدالسلام وغيرهم، وأشار هو نفسه إلى هذا في مواطن عديدة، ويبرز تميزه وتجديده في طرقه لبعض الموضوعات البلاغية ضمن خدمته للنص القرآني وفهمه له، من خلال الروح الأدبية التي تمتع بها في تناوله لتلك الموضوعات.

وبإضافاته ولمحاته البيانية نتبين الدور الذي لعبه ابن القيم في إعادة الرونق الزاهي للبلاغة العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن قيّم الجوزية (-٧٥١هـ) (*)

هو الإمام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي[١] الدمشقي. المعروف بابن قيم الجوزية، أو بابن القيم . كان والده أبو بكر قيما علي المدرسة الجوزية ، فعرف بقيم الجوزية ، واشتهرت ذريته من بعده بذلك ، وأصبح الفرد منهم يدعى بابن القيّم ، وقيّم المدرسة تعني ناظرالمدرسة ووصيها وقيمها [٢]، والجوزية: اسم مدرسة تقع في آخر سوق البزورية بدمشق[٣] ، وسميت بهذا الاسم نسبة الي واقفها أبي الفرج محي الدين بن الحافظ بن الجوزي[٤].

ولد ابن القيم عام ٦٩١هـ (١٢٩٢م)، وتوفي بدمشق سنة (٧٥١هـ) (١٣٥٠م)، فزهرة حياته كانت في النصف الأول من القرن الثامن الهجري.

(*) ينظر ترجمته في كل من : الحافظ الذهبي (-٧٤٨هـ)، ذيول العبر في خبر من عبر ، تحقيق: أبو هاجر زغلول دار الكتب العلمية ، بيروت، ٤/١٥٥. الصفدي(-٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات ،وزارة المعارف، استنبول، ١٩٤٩. ٢/٢٧٠، ابن كثير(-٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ت:أحمد فتيح ط١،دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢، ١٤/٢٥٢. ابن رجب(-٧٩٥هـ)، الذيل على طبقات الحنابلة،دار المعرفة ، بيروت،٢/٤٤٧. ابن حجر العسقلاني(-٨٥٢هـ) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. دار الكتب الحديثة ٤/٢١. ابن تغري بردي (-٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، تعليق محمد حسين ط١،دار الكتب العلمية بيروت،١٩٩٣، ١٠/١٩٥. السيوطي (-٩١١هـ). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،ت:محمد أبو الفضل،ط٢،دار الفكر ،١٩٧٩. ١/٦٢. الداودي(-٩٤٥هـ) طبقات المفسرين دار الكتب العلمية، بيروت ٢/٩٣.ابن العماد الحنبلي - (-١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ط٢،دار المسيرة، بيروت،١٩٧٩، ٦/١٦٨. الشوكاني (-١٢٥٠هـ) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،دار المعرفة،بيروت،٢/١٤٣ .دائرة المعارف الاسلامية (ابن قيم الجوزية) ط٢. ١٩٣٤. ١/٢٦٨.
الزركلي، الأعلام، ط٩،دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠. ٦/٥٦.

(١) الزرعي: نسبة الى زرع قرية من حوران-السخاوي،الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة،١١/٢٠٤.

(٢) بكر أبو زيد، ابن القيم حياته وآثاره، ط٢،مكتبة المعارف ، الرياض ،١٩٨٥،ص١٢.

(٣) المسماة قديما بسوق القمح،. وقد اختلس جيرانها معظمها، ثم صارت محكمة الي سنة ١٣٢٧هـ، ثم أقفلت مدة إلى أن فتحتها جمعية الإسعاف الخيري وجعلتها مدرسة لتعليم الأطفال الأيتام، وقد احترقت أيام الثورة السورية ، ثم أعيد بناؤها الآن. انظر ابن بدران، منادمة الأطلال ط٢، المكتب الأسلامي ، دمشق ،١٣٧٩هـ، ٢٢٧، ومقدمة كتاب ابن القيم، روضة المحبين، بقلم أحمد عبيد ، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٣ف. ومحمد مسلم الغنيمي، حياة ابن القيم المكتب الاسلامي ، دمشق ،١٩٧٧،ص١٠٠.

(٤) طاهر حموده،ابن القيم جهوده في الدرس اللغوي، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، ١٩٧٦،ص٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حياته :

قضى ابن القيم معظم حياته بالشام وارتحل عنها للحج عدة مرات، وجاور بمكة فترة من الزمن ، وانتقل إلى القاهرة في بعض الأحيان .

وكانت الشام في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨هـ-٩٢٣هـ) تابعة لمصر، وكان يحكمها نائب من قبل السلطان بالقاهرة، وقد امتد ذلك العصر ثلاثة قرون تبتدىء بسقوط بغداد على أيدي التتار،و انتصار المماليك عليهم في موقعة عين جالوت، وتنتهي بدخول السلطان سليم إلى الشام(٩٢٢هـ) ومصر عام (٩٢٣هـ).

شيوخه:

تتلمذ ابن القيم لكثير من علماء الشام في ذلك الحين ، ومن الشيوخ الذين اتخذهم مثلا أعلى له ابن تيمية (-٧٢٨هـ)، فقد لزمه منذ سنة (٧١٢هـ) إلى سنة (٧٢٨هـ)، وأخذ عنه الكثر من آرائه ، وهذب كتبه ونشر علمه، ونهج نهجه في محاربة المنحرفين عن عقيدة السلف.

وابن تيمية [1] من أشهر فقهاء الحنابلة، وأكبر مفكري الإسلام ، وأغزرهم نتاجا ولد بحران القريبة من دمشق سنة (٦٦١هـ) ، وقد برع في علوم القرآن والحديث والفقه والكلام وغير ذلك ، وكان يتمتع بذكاء مفرط ، وذاكرة قوية مكنته من الحفظ وسرعة الاستحضار ، والتوسع في المعقول والمنقول ، والاطلاع على مذاهب السلف ، وهو إن كان حنبليا فقد كان لا يرى المذهب الحنبلي في بعض المسائل حتى قال بعض العلماء إنه لا يتقيد بمذهب.

وقد جلبت عليه حريته في الجدل والمناظرة ، وحدته في المناقشة عداوة كثير

(١) انظر الترجمة في البدر الطالع ٦٣/١-٧٢، دائرة المعارف الاسلامية، ط٢، ١٩٣٤-١٣٥٣هـ(ابن تيمية) ١٠٩/١، جرجي زيدان ،تاريخ آداب اللغة العربية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٠، ٢٥٦/٢، محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، مكتبة الآداب ، القاهرة، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م،٢٢٠/٣ - ٢٤٢/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من العلماء في عصره ، وأدى ذلك إلى دخوله السجن مرات ، ومع ذلك كان لا يتخلى عن مهاجمته لأصحاب البدع، وقد وافته المنية وهو في السجن عام ٧٢٨هـ.

وقد اتبع ابن القيم آراء أستاذه ، كما شاركه في مواجهة الإضطهاد والعذاب بسبب مواقفه المتشددة ومهاجمته لأصحاب المذاهب المختلفة .

ومن شيوخ ابن القيم والده الذي أخذ عنه الفرائض وسمع عن شهاب الدين العابر، والقاضي تقي الدين سليمان ، وأبي بكر بن عبد الدائم وأبي نصر بن الشيرازي ، وعيسي المطعم وفاطمة بنت جوهر ، وقرأ العربية على المجد التونسي وابن أبي الفتح البعلي والصفي الهندي[1] ، وابن مكتوم والبهاء ابن عساكر وعلاء الدين الكندي الوادعي ومحمد البعلبكي وأيوب بن نعمة الكمال ، وأخذ الفقه عن جماعة منهم الشيخ اسماعيل بن محمد الحراني[2]، وغيرهم.

الحالة الثقافية في عصره:

شجع المماليك التعليم ، وقربوا العلماء و أجزلوا لهم العطايا، وقد أظهروا للمسلمين بأنهم حماة الدين ، والمدافعون عن العقيدة ، وظهر ذلك منهم في حرب التتار وهجمات الصليبيين ، وبهذا كسبوا مناصرة الرأي العام لهم ، ولم يجد خصومهم منفذا للطعن عليهم .

وقد اتخذوا المساجد والزوايا دورا للتعليم ، وأهم المساجد التي قصدها طلاب العلم في عصرهم في القاهرة هي : جامع عمرو بن العاص ،وجامع ابن طولون، والجامع الأزهر، وجامع الحاكم[3]. كما اتخذوا المدارس لهذا الغرض ، وبنوا كثيرا منها ، وأهمها:

---

(١) طبقات المفسرين، الداودي ٢/٩٤، وبغية الوعاة السيوطي ١/٦٢.

(٢) الوافي بالوفيات ٢/٢٧١.

(٣) علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ط٢،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة،١٩٨٠، ٤/١٣، ٢٩، ٩٦، ١٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدرسة الصلاحية: أسسها السلطان صلاح الدين بن أيوب، والكاملية : وتنسب إلى الملك الكامل، والظاهرية : وتنسب إلى الظاهر بيبرس، والمنصورية: نسبة إلى المنصور قلاوون ، والناصرية : نسبة إلى الملك الناصر بن قلاوون[١].

وأما في دمشق فمن مدارسها ، المدرسة الظاهرية بناها الملك الظاهر، والمدرسة العادلية الكبرى وتنسب إلى الملك العادل.

عمل ابن القيم إماما للجوزية ومدرسا بالصدرية وغيرها من الأماكن، والصدرية مدرسة بدمشق سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها صدر الدين أسعد بن عثمان بن المنجاة التنوخي الحنبلي المتوفى في سنة (٦٥٧هـ)، وتقع بدرب الريحان، محيت آثارها وصارت دورا[٢].

وقد ذكر النعيمي في كتاب " الدارس في تاريخ المدارس" دورا للقرآن الكريم ، ودورا للحديث ، ودورا للقرآن والحديث معا، كما ذكر مدارس الشافعية ، ومدارس الحنفية، ومدارس المالكية ، ومدارس الحنابلة، كما ذكر مدارس الربط[٣].

كان نتيجة هذه النهضة العلمية ظهور مؤلفات قيمة في الشريعة الإسلامية واللغة العربية ، وذلك لأن العلماء كانوا يحسون بالخراب الذي حلّ ببغداد وكان عليهم أن يزيلوا آثاره، ويحاولوا سد ما حصل من نقص. ويعوضوا المسلمين ، ويحيوا علوم اللغة والدين .

وقد أنتج هذا العصر آلاف الكتب والرسائل ، وعرف كثير من رجاله بكثرة

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مطبعة الموسوعات، مصر ١٥٧/٢. ١٥٩. ١٦٠، وأنظر بالنسبة للمساجد ، حسن المحاضرة ، ١٤٩/٢. ١٥٢. ١٥٤. ١٥٥.

(٢) منادمة الأطلال،٢٣٩ ومقدمة روضة المحبين بقلم أحمد عبيد، ص : ف و ص.

(٣) عبد القادر النعيمي(-٩٢٧هـ)، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسني، مطبعة الترقي ، دمشق١٩٤٨، ٣٥٩/١. ٣٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التأليف كابن تيمية ، وابن حجر العسقلاني .

وقد كانت العناية بالعلوم الشرعية فائقة ، لما للدين من منزلة في النفوس وكانت اللغة العربية في المنزلة الثانية ، إذ هي تخدم العلوم الشرعية ، فالنحو والصرف والشعر والعروض والبلاغة كلها ضرورية لتفهم العلوم الدينية تفهما جليا ، فالمهتم بالعلوم الدينية ، يكون مهتما بالعلوم العربية وغيرها، لذا ظهرت عدة كتب في التفسير وعلومه، وفي كثير من كتب اللغة العربية ، ككتب ابن مالك(ت٦٧٢هـ) في النحو، وابن هشام المصري(ت٧٦١هـ)، وجلال الدين القزويني (ت٧٣٩هـ) في البلاغة، وكذلك ظهرت كتب المعاجم كلسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ)، والمصباح المنير للفيومي(ت٧٧٠هـ).

كما ظهر من كتب التراجم وفيات الأعيان لابن خلكان (ت٦٨١هـ)، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي(ت٧٧٤هـ)، والوافي بالوفيات للصفدي(ت٧٦٤هـ) والدرر الكامنةفي أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).

ومن كتب التاريخ العام : المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء(ت٧٣٢هـ) وتقويم البلدان له أيضا، والبداية والنهاية لابن كثير (ت٧٧٤هـ)[١].

الحالة السياسية للبلاد في عصره:

في عام (٦٥٦هـ) مني العالم الإسلامي بحادث أليم حطم جهاز الدولة الإسلامية، هذا الحادث: هو استيلاء التتار - الذين جاءوا من شمال الصين - على بغداد ، وقتلوا الخليفة العباسي ، وضربوا أعناق الأعيان والفقهاء، وكان القتلى (١,٨٠٠,٠٠٠) مليونا وثمانمائة ألف نسمة [٢]، وآل ذلك إلى القضاء على

(١) انظر تاريخ آداب اللغة العربية ، ٣/١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٩٦، ٢٠٢.

(٢) النجوم الزاهرة ٧/٥٠، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي،٣/١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دولة بني العباس .

وقد واصل التتار زحفهم على بلاد الشام حتى وصلوا إلى غزة ، فالتقى بهم الملك المظفر قطز سلطان مصر في عين جالوت، واشتد القتال بين الفريقين ، وأسفرت عن هزيمة التتار، ولم تقم للتتار قائمة بعد هذه المعركة ، ودخل قطز دمشق وجاء حكام الشام ، وأعلنوا ولاءهم له ، وبهذا خضعت الشام ومصر لحاكم واحد، كان يقيم في مصر وينيب عنه حاكما على الشام [١].

وكان التنافس بين أمراء المماليك واضحا طوال هذه الفترة ، ولذلك تميز عصرهم بعدم الاستقرار السياسي ، غير أن الفترة التي كانت فيها حياة ابن القيم تميزت بنوع من الاستقرار النسبي لأن معظمها كانت في حكم الناصر محمد بن قلاوون، وهو من أشهر السلاطين ، وأطولهم مدة في الحكم.

ولا نغفل أثرا سياسيا آخر كان في هذه الفترة - وهو الحروب الصليبية - التي بدأت سنة (٤٩٠هـ)، واستمرت حتى سنة (٦٩٠هـ)، وذهب ضحيتها الكثير من الأرواح والأموال ، وخرج المسلمون منها وقد صهرتهم التجربة ، وعرفوا الكثير من فنون الحرب .

خرج المسلمون من هذه الحروب وهم أكثر اعتدادا بأنفسهم ، فقد عكفوا على دراسة دينهم مدافعين عنه ، داعين إليه ، مهاجمين خصومه ،ونجد ذلك واضحا عند ابن تيمية وابن القيم ، فقد تطلعا إلى الحرية في حياتهم الفكرية والسياسية.

وتظهر الحرية السياسية في تطلع المحكومين - في صورة الفقهاء والعلماء عامة ، إلى محاسبة الحاكمين، وعدم استسلامهم لما يمليه الحكام عليهم ، بل كانوا

---

(١) حسن المحاضرة ٢/٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يناقشونهم ويراجعونهم ، من هذا ما جاء في حسن المحاضرة [1] أن الظاهر بيبرس أفتاه جماعة في أمر بما يوافق هواه ، فهب الشيخ محي الدين النووي في وجهه قائلا: "أفتوك بالباطل".

كما روي أن الظاهر بيبرس هم أن يأخذ البيعة لنفسه بالسلطنة بعد قتل قطز، فجمع الأمراء والقضاة ، وأوشكت البيعة أن تنعقد ، غير أن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، امتنع عن مبايعته لأنه لم يثبت لديه عتق بيبرس وحريته، وقال له : " يا ركن الدولة ، أنا أعرفك مملوك البند قدار فاستحضر بيبرس شهودا على خروجه من ملك البند قدار وحريته ، فتمت البيعة[2].

ومن جرأة عز الدين بن عبدالسلام في الحق أنه أعلن أن بعض أمراء المماليك لا يزال رقيقا، وأن تصرفاتهم غير مشروعة إلا إذا بيعوا ، وأعتقوا، ووضع ثمنهم في بيت المال وكان منهم نائب السلطان ، فهاج وماج ، ولكن في غير طائل ، وقد تم ما اقترحه الشيخ عزالدين ، ووفق الشيخ عزالدين ببيعهم في مزاد علني ، وغالى في ثمنهم ،ووضع المال في بيت المال .

ولقد ظهر أثر هذه الحرية الفكرية في بعض الأبحاث العلمية للعلماء الذين هاجموا التقليد ، ودعوا إلى الجهاد، وانتقدوا التعصب للمذاهب الفقهية دون تبصر أو روية.

وخير ما يمثل هذا الاتجاه الفكري ما سار عليه ابن تيمية وابن القيم من حرية في البحث العلمي ، وكان من آثار ذلك ما أثر عن ابن تيمية من أن السفر الذي يبيح قصر الصلاة مطلق السفر، وأن الطلاق بلفظ الثلاث يقع واحدة، وأن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي،٣/١٨٢-١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحلف بالطلاق يمين ولا يقع به الطلاق ، وأن الطلاق في الحيض لا يقع[١].

٤٥٩٤٩٢

ثقافة ابن القيم ومؤلفاته :

الإنسان ابن بيئته، ونتاج مجتمعه ، وفي دراسة هذه البيئة وتبين ملامح المجتمع ما يلقي الأضواء على شخصية ابن القيم الذين نحن بصدد دراسته، فابن القيم نشأ في هذه البيئة وتغذى بثقافتها وهضمها وتمثلها وأخرجها للناس من آثار خالدة تنبيء عن عقل رشيد وفهم سديد ، فقد تبحر في دراسة العلوم الشرعية والعربية وعلم الكلام والتصوف، وكان يتلقى كل علم منها من نوابغ المتخصصين فيه[٢]. وكان مغرما بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصر[٣]، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته زمنا طويلا ، غير الذي اصطفوه لانفسهم منها [٤]كما كانت الطريق ممهدة له للدراسة ولديه الرغبة الشديدة للمطالعة، فقرأ مؤلفات في شتى الفنون والعلوم ، وتمتع بحافظة واعية ، حتى لا يكاد ينسى ما قرأ، وإن كان يورد معنى ما وعاه[٥] أحيانا، فالف وصنف كتبا كثيرة ، وكتب بخطه الحسن الشيء الكثير[٦]. ألف في الفقه وأصوله : كتاب"إعلام الموقعين" و"الطرق الحكمية في السياسة الشرعية" و "الصلاة وأحكام تاركها".

وألف في التصوف : كتاب "مدارج السالكين " وهو شرح لكتاب"منازل السائرين" للهروي" و"عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين " و"روضة المحبين ونزهة المشتاقين".

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية الكبرى ، تصحيح اسماعيل بن السيد ابراهيم ، المطبعة الفنية القاهرة ،١٤١١-١٩٩١م، ١/١٢٢-١٢٥ و٣/١٠. ١٣. ١٤، للتوسع انظر ٣/٨-٣٦.

(٢) حياة ابن القيم ،١٠٢.

(٣) البداية والنهاية ، ١٤/٢٥٢، طبقات المفسرين ، ٢/٩٢ ، طبقات الحنابلة ٢/٤٤٩.

(٤) الدرر الكامنة، ٤/٢٢، البدر الطالع ٢/١٤٣.

(٥) حياة ابن القيم،١١٠.

(٦) البداية والنهاية ١٤/٢٥٢، طبقات الحنابلة،٢/٤٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وألف في علم الكلام :كتاب" شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل "و"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"، و"الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية"، وقد ألفها شعرا للرد على الفرق المختلفة التي تخالف السلف في العقيدة، و"حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح".

وألف في السيرة :" زاد المعاد في هدي خير العباد"وهو كتاب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته، وفيه مع ذلك أبحاث فقهية قيمة [١] ولطائف في التفسير والحديث واللغة والنحو، ومن المدهش أنه أملاه، وهو في حال سفره، وغيبته عن كتبه.

وألف في اللغة : بدائع الفوائد، فهو يتصل إلى حد كبير بالدرس اللغوي والبلاغي بجانب الجوانب الأصولية والفقهية فيه.

وألف في البلاغة:" الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان"، وسوف ندرسه في الصفحات اللاحقة إن شاء الله .

تعد مؤلفات ابن القيم وتصانيفه مرجعا في العلوم والمعارف ، فقد ترك كثيرا من المؤلفات التي بلغت أكثر من مائة كتاب[٢] في العلوم والمعارف ، منها المطبوع ، ومنها المخطوط ، في التوحيد وعلم الكلام وعلوم القرآن والحديث وعلوم الفقه وأصوله وعلوم اللغة وغير ذلك من موارد الثقافة، ومناهل العرفان، وهي مرغوب فيها لدى الكثيرين ، لأنه عالم أديب له أسلوب جميل خالٍ من التعقيدات

---

(١) عبد العظيم شرف الدين ، ابن قيم الجوزية عصره، ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، ط١، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٦ . ٧٥ ،وانظر أحمد البقري، ابن القيم وآثاره العلمية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ . ١٦٥ وما بعدها .

(٢) نذير حسن عتمة، مشاهد الخلق في المعصية، المكتب الإسلامي دمشق،١٩٨٥ . ١٢-١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمصطلحات العلمية التي يصعب إدراكها على غير أهل الاختصاص[١].

جاءت مؤلفات ابن القيم في وقت كثرت فيه المذاهب وضلت الأفهام ، وتلبدت فيه غيوم البدع والفتن بالآراء السخيفة، وأصبح الناس لا يعرفون للدين حقيقة الا ماألفوا من هذه البدع والخرافات [٢]، فكبحتها مؤلفاته وأعادت المذاهب إلى سنة نبيها صلى الله عليه وسلم ، وعرفتهاحقائق شرعها ، وميزتها عن الأباطيل والفرق المضللة ، وكانت بمثابة مصابيح مضيئة وسط ظلام حالك ، وعلامات هادية في خلال المسالك المتشعبة ، والطرق المتشابهة .

تلاميذه:

أخذ عن ابن القيم خلق كثير، وأشهر من تتلمذ له ، الحافظ زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن رجب صاحب طبقات الحنابلة ، كما تتلمذ له شمس الدين محمد بن عبدالقادر النابلسي صاحب مختصر طبقات الحنابلة، وابن كثير صاحب البداية والنهاية ، والفيروزأبادي صاحب القاموس، وكذلك ولده عبدالله الذي تولى التدريس بالمدرسة الصدرية بعد وفاة والده[٣] ، فأفاد وأجاد، وأيضا ابنه إبراهيم الذي درس بالصدرية واشتهر صيته بالإفتاء وكان على طريقة أبيه وله في النحو اليد الطولى فقام بشرح ألفية ابن مالك [٤]، وغيرهم.

شخصيته :

كان ابن القيم باحثا قوي الشخصية لا يتأثر بغيره ، بل كان حرا يعمل فكره، ولا يلتزم برأي غيره ، ولو كان شيخه ابن تيمية ، فكثيرا ما كان يناقشه ويرد

---

(١) حياة ابن القيم،١١٨.

(٢) مقدمة كتاب التبيان في أقسام القرآن، بقلم محمد الفقي القاهرة،١٩٣٣،ص:ك.

(٣) البداية والنهاية،١٤/٢٥٢.

(٤) الدرر الكامنة ١/٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيه عندما يبدو له وجه الترجيح كما كان في حكم إرضاع الطفل، وعدة الأمة[١] وهذا ينفي ما قالته بعض التراجم : بأنه كان لا يخرج عن شيء من أقوال ابن تيمية بل ينتصر له في جميع ذلك[٢].

وقد تعرض لمثل ما تعرض له شيخه ابن تيمية من العذاب والتنكيل، وفي مسائل قد تكون مشابهة ، إذ مصدرها حرية الرأي ، والبحث الحر ، إلاّ أن ابن تيمية تعرض للبطش والتنكيل أكثر من ابن القيم، لأبن ابن تيمية كان حاد الطبع ، عنيف الثورة على أصحاب البدع والمخالفين للسنة ، فكان لا يميل إلى المهادنة والموادعة لأصحاب البدع والفرق الإسلامية الخارجة عن أصول الدين، وأصحاب الديانات المخالفة ، وكان لا يقبل أن يرجع عما يرى أنه الحق .

وحينما جاء ابن القيم كان النزاع قد خف ، وفترت حدته ، فأخذ يتناول المخالفين بالحجة والبرهان في هدوء واتزان، ويناقش الآراء ويأخذ منها ما يراه موافقا للشرع ويرد منها ما كان يخالفه ، مع ميل إلى الهدوء ، وبعد عن العنف.

وعلى الرغم من ذلك فقد ناله الأذى ، فاعتقل مع شيخه بقلعة دمشق[٣] بعد أن أهين ، وطيف به -ابن القيم- على جمل مضروب بالدرة[٤]، وكان هذا الاعتقال هو الأخير لابن تيمية ، وقد حبس تلميذه بالقلعة نفسها منفردا عن شيخه ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ[٥].

---

(١) أنظر ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الاسلامية ، بيروت-الكويت ،١٤٠١هـ-١٩٨١م، ٥/٥٧٥-٥٧٧ و ٦٥٠،٦٥٦.

(٢) الدر الكامنة، ٢١/٤، البدر الطالع ١٤٣/٢.

(٣) تقع في وسط دمشق وهي معروفة حاليا ، مشاهد الخلق في المعصية ، ١١.

(٤) الدر الكامنة ٢١/٤، البدر الطالع ١٤٣/٢.

(٥) شذرات الذهب، ١٦٨/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تعرض ابن القيم للحبس أيضا بسبب إنكاره شد الرّحال لزيارة قبر الخليل[١] وهي التهمة التي حبس من أجلها ابن تيمية ، فقد أفتى بعدم جواز شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، واعتمد على نص الحديث الشريف:" لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا[٢]" ، كما أفتى ابن القيم بأن من طلق زوجته ثلاثا بكلمة واحدة - أي كلمة الثلاث- أو من مجلس واحد ، لم يلزمه إلاّ طلقة واحدة ، وكان هذا الطلاق رجعيا ، وخالف بذلك الحكم ما اشتهر عند أصحاب المذاهب الأخرى، واستدل على ذلك بالنصوص الصحيحة ، وأصابه ما أصابه من جراء ذلك .

فهذه المواقف تدل على ما تميز به ابن القيم من ثبات على الرأي ، كما أنه ينبىء عن شخصية قوية لا تميل عن اعتقادها مهما أصابها من بطش أو تعذيب .

ومات رحمه الله في ليلة الخميس الثالث عشر من شهر رجب وقت آذان العشاء سنة ٧٥١هـ (١٣٥٠م)، وقد ذكر أن جنازته كانت "حافلة جدا" [٣] وصلى عليه من اليوم التالي بالجامع الأموي عقيب الظهر ثم بجامع جراح ودفن بمقبرة الباب الصغير[٤] عند قبر أمه، وشهد جنازته القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على حمل نعشه. وقد أثر عن ابن حنبل أنه قال لخصومه:" بيننا وبينكم اتباع الجنائز"[٥] فكانت هذه الجنائز غير العادية دليلا على إخلاصهم لأمتهم ، ونصحهم لها .

---

(١) الدرر الكامنة، ٢١/٤.

(٢) أنظر مجموعة فتاوى ابن تيمية الكبرى، ١١٨/١ . ١٢٢، وانظر ابن قيم الجوزية أعلام الموقعين عن رب العالمين، رتبه وضبطه محمد عبدالسلام إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ٢٦٦/٤.

(٣) البداية والنهاية، ٢٥٣/١٤.

(٤) الدرر الكامنة ٢١/٤، طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢.

(٥) طاهر سليمان حمودة، ابن قيم الجوزية جهوده في الدرس اللغوي دار الجامعات ، الاسكندرية، ١٩٨٦، ٦٣ وانظر عصر سلاطين المماليك (ابن قيم الجوزية) ٢٥٩/٣ - ٢٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الجانب البلاغي عند ابن قيّم الجوزية في التفسير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الجانب البلاغي عند ابن القيم في التفسير :

التزم المنهج السلفي بظاهر القرآن من غير تأويله أو تحميله من المعاني ما لا يتحمله اللفظ . ومن أعلام هذا المنهج في القرنين الهجريين السابع والثامن شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (-٧٢٨هـ) ، ومحمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية(-٧٥١هـ) ، وقد مشى على منهجهما فيما بعد العدد الكثير من العلماء ، ومن أشهرهم في التفسير العلامة ابن كثير الدمشقي(-٧٧٤هـ).

لم ير ابن القيم تفسير القرآن الكريم بكامله ، وما كان ذلك منه ولا من شيخه إلاّ عن رأي ارتأياه وحد التزماه ، ألا وهو : إن كتاب الله الخالد ، هو سبيل الهداية بكل زمان ومكان ، يفسر منه بمقدار الحاجة الكافية لهداية البشر وتستخرج منه الأحكام بمقدار الحاجة ومصلحة العباد، فإنك لا تجد في كتب ابن تيمية وابن القيم ، إلاّ تفسيرا لمجموعة[١] من آيات تتفق مع الموضوع الذي يبحث فيه ، وقد تجد له قولا يقرب أو يبعد عن المعنى السابق عندما يتعرض لتفسير هذه الآيه في موضع آخر ، وبحث جديد.

ولا غرابة في ذلك فالقرآن الكريم حمال أوجه ، وابن القيم يتلمس النافع المفيد في كل مناسبة ، فهو رائد لمدرسة تفسيرية شاملة بنى فيها منهجه على تقديم للسورة القرآنية يبرز من خلاله وحدة السورة القرآنية وترابطها كالجسد الواحد ، كل جزء فيه مكمل للهدف المقصود من العضو الآخر[٢].

---

(١) مستثنى من ذلك تفسير سورة النور وبعض السور القصار.

(٢) محمد أحمد السنباطي ، منهج ابن القيم في التفسير مجمع البحوث الاسلامية القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص ١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يؤلف ابن القيم مؤلفا خاصا بتفسير القرآن الكريم ، ومع ذلك فقد كانت له اليد الطولى في البحث ، فقد تناول كثيرا من آياته في ثنايا كتبه العديدة ، وقد تمنى في حياته أن يفسر القرآن الكريم ويخصه بمؤلف فقال في أحد مؤلفاته[١]: " وعسى الله المانَّ بفضله الواسع العطاء الذي عطاؤه على غير قياس المخلوقين، أن يعين على تعليق تفسير على هذا النمط، وهذا الأسلوب، وقد كتبت من مواضع متفرقة من القرآن على ما يسنح من هذا النمط وقت مقامي بمكة وبالبيت المقدس، والله المرجو إتمام نعمته: " ، ولكن لم يحصل ما تمناه ، ولم يقع ما رجاه .

وظلت مؤلفات ابن القيم المطبوعة والمخطوطة على ما تركها ، وكانت كتبه على تفرقها وتشتتها هي المرجع الوحيد لما تعرض له من تفسير للقرآن الكريم ، حتى وفق الله الشيخ أويس الندوي، فجمع ما وقف عليه من تفسير للقرآن من مؤلفاته في مجلد واحد، وظهر هذا الكتاب باسم "التفسير القيم" ، فما جمعه يشمل طرفا جيدا من تفسير ابن القيم ، وقد فاته الكثير الكثير، وقد نبه على ذلك محمد بهجت البيطار -رحمه الله-[٢]. وقد رغب الشيخ البيطار في إكمال ما بدأ به الاستاذ الندوي لجمع ما فاته من تفسيرات ابن القيم .

ومن خلال تتبع كاتب هذا البحث لآثار ابن القيم المتفرقة ، وما جمع من تفسيره في هذا السفر القيم ، تبين أن ابن القيم كان يتمتع بحس بلاغي في فهم آيات الكتاب المبين وقدرة عظيمة على استخراج اللطائف البيانية ، والأسرار البلاغية ، وتوجيه الآيات توجيها تظهر فيه البراعة وحسن الابتكار.

---

(١) ابن القيم ، بدائع الفوائد، ضبط أحمد عبدالسلام ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ١١٧/١، وانظر التفسير القيم ، جمعه محمد الندوي ، حققه محمد الفقي، دار الكتب العلمية ، بيروت ص٦٢، إذ يقول: "..... وعسى الله أن يساعد بتفسير على هذا النمط....".

(٢) محمد بهجت البيطار، حول كتاب التفسير القيم للندوي مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مجلد ٣٠، جزء ٤، صفر، ١٣٧٥هـ، تشرين اول - ١٩٥٥م، ص٦٣٨-٦٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وابن القيم حين تعرض لتفسير بعض الآيات الكريمة من مؤلفاته ، لم يقصد تفسير القرآن آية آية ، وإنما كان يتعرض للآية الكريمة لبيان حكم شرعي ، أو رد على فرقة من الفرق التي انحرفت عن منهج القرآن الكريم ، فيظهر عند ذلك حسه البلاغي ، وتبرز قدرته على استخراج النكت والأسرار في مواطن الإعجاز، فهو يهتم بإظهار الجمال البلاغي في الصوغ القرآني[1]، وقد يميل أحيانا للإطناب لاستغراقه في ذوق الجمال القرآني ، لسعة باعه في علوم اللغة .

وقد تناول في تفسير هذا ما يخص "حروف القرآن" وكيفية تركيبها ، وحسن اختيارها، وملاءمتها لمواضعها .

كما تناول "الكلمة" وانتقاءها ، وحسن اختيارها وتفضيلها عن سواها ، وتناسقها مع غيرها.

كذلك تناول "نظم الجملة" وبناءها ، وجمال التئامها، وتناسبها مع سياقهامن الجمل ، وبين أن تغيير حرف بحرف ، أو كلمة بكلمة ، أو أي تغيير في تركيب جملة من كتاب الله ، تغير المعنى المراد تغييرا قد لا يمكن معه فهم شيء من المراد. وسنخص هذا الفصل – إن شاء الله تعالى – بتلك الشعب الثلاث، لنرى جهود ابن القيم في الدرس البلاغي ، ومدى ما وصلت اليه قدرته على استخراج ما في القرآن من أسرار بلاغية ، ولطائف بيانية ، تنم عن حس بلاغي مرهف وتضلع في اللغة ، تسترعي الانتباه ، وتثير الإعجاب.

الحروف في القرآن:

القرآن الكريم يتخير حروف الكلمة ، وينتقي أصواتها صافية الذوق في مخارجها ، لذيذة السماع ، طيبة المجرى على اللسان، معتدلة في تأليفها ، خفيفة في الفم ، نازلة على أحسن هيئة في الايقاع ، قوية الإيحاء، شديدة البعث لما تتضمنه من المعاني المرادة ، والأهداف المقصودة من الآية الكريمة .

---

(١) منهج ابن القيم في التفسير، ١٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك نرى في تراكيب حروف القرآن تناسقا عجيبا بين الرخو والشديد، والمهجور والمهموس، والممدود والمقطوع ، ونجد أن اجتماعها معاً يؤلف نغما مطربا يظهر أثره في صوت القاريء.

وكان لابن القيم في فهمه لحروف القرآن ، والبحث عن خصائصها نظرات وأفكار بدت في تحليله لبعض آيات القرآن ، وظهرت متفرقة في كتبه نذكرها فيما يأتي من حديث.

الحروف المقطعة :

وردت هذه الحروف في أوائل سور كثيرة من القرآن الكريم، فاستفتح بها تسعا وعشرين [١] نحو : ألم ، ألمص، ألر، ص.... الخ وقد اختلف العلماء في أسرار هذه الحروف، والسبب في بدء السورة بها اختلافا كبيرا[٢]. فقد فسر بعض الصحابة رضوان الله عليهم هذه الحروف : بأنها تدل على كلمات حذف أكثرها، ودل هذا الحرف على الكلمة ، فقالوا معنى ألم : أنا الله الملك، وفي كهيعص: الكاف من كافٍ والهاد من هادٍ، واستدلوا بذلك بأن العرب في أقوالها وأشعارها استغنت بذكر حرف من الكلمة عن ذكرها ، ففهمت المراد من ذلك الحرف[٣]، وهذا الاختلاف يعكس العجز عند البشر، وهو سر من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، لكن العلماء- على الرغم من اعترافهم بعجزهم عن الوصول إلى السر الحقيقي- لا يكفون عن البحث من هذا السر الدفين ، والكشف عن ذلك المخبأ الثمين.

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل، دار احياء التراث، القاهرة ١٣٧٧هـ-١٩٥٨، ١٦٥/١.

(٢) المصدر نفسه، ١٧٣/١.

(٣) ابن القيم ، الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، ١١٧. وأنظر ابن كثير (-٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، ط١، دار الخير، بيروت، دمشق، ١٩٩٠م، ٣٨/١-٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممن شارك العلماء في جهودهم للبحث عن سر هذه الحروف المقطعة، وتعقب أقوال سابقيه ، ابن القيم ، فقد قال :[1]

" الصحيح أن (ن،ق،ص) من حروف الهجاء التي يفتتح بها الرب سبحانه بعض السور، وهي أحادية ، وثنائية ، وثلاثية ، ورباعية ، وخماسية، ولم تتجاوز الخمسة، ولم يذكر قط في أول سورة إلاَّ وعقبها بذكر القرآن ، إما مقسما به ، وإما مخبرا عنه ، ما خلا سورتين(كهيعص، ن) كقوله تعالى :" ألم، ذلك الكتاب" (البقرة١- من الآية ٢)،" ألم، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق"(آل عمران١- من الآية ٣)،"ألمص، كتاب أنزل إليك..."(الأعراف ١- من الآية٢). "ألمر، تلك آيات الكتاب..."(الرعد من الآية ١) وهكذا.

ففي هذا تنبيه على شرف هذه الحروف ، وعظم قدرها ، وجلالتها ، إذ هي مباني كلامه وكتبه، التي تكلم سبحانه بها ، وأنزلها على رسله ، وهدى بها عباده، وعرفهم بوساطتها نفسه، وأسماءه ، وصفاته ، وأفعاله، وأمره، ونهيه، ووعده، ووعيده....وأقدرهم على التكلم بها ، بحيث يبلغون بها أقصى ما في أنفسهم بأسهل طريق ، وأقل كلفة ومشقة .

فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه على كمال ربوبيته ، وكمال إحسانه وإنعامه، فهي أولى أن يقسم بها من الليل والنهار، والشمس والقمر ، والسماء والنجوم، وغيرها من المخلوقات وقد جمع الله - سبحانه- بين الأمرين - أعني القرآن ونطق اللسان- وجعل تعليمها من تمام نعمته وامتنانه، فقال تعالى:" الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان، علمه البيان"(الرحمن١-٤)، فبهذه الحروف علم القرآن ، وبها علم البيان ،وبها فضل الإنسان على ساير أنواع الحيوان ، وبها أنزل كتبه ، وبها أرسل رسله،وبها جمعت العلوم وحفظت..".

ثم ينتقل ابن القيم من الكشف عن الأسرار في تلك الحروف إلى تعريف العباد بعظمة الله تعالى وإظهار آياته وقدراته في كيفية إنطاق الإنسان بواسطة

---

(١) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن ، دار الفكر، دار الطباعة المحمدية، الأزهر، تصحيح الشيخ طه يوسف شاهين، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ١٢٦،١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هواء يخرج من قصبة الرئة ، إلى الفم ، من باطن الإنسان إلى ظاهره، في مجارٍ قد أُعدت وهيئت لتقطيعه وتفصيله، ويسمع له عند كل مقطع من تلك المقاطع صوت غير صوت المقطع المجاور له ، فإذا هو حرف، فتبارك الله أحسن الخالقين ، يقول في ذلك :[1]" فآياته -سبحانه- في تعلم البيان كآياته في خلق الإنسان ، فسبحان من هذا صنعه! في هواء يخرج من قصبة الرئة فينضم إلى الحلقوم ، وينفرش في أقصى الحلق ،ووسطه، وآخره، وأعلاه، وأسفله، وعلى وسط اللسان، وأطرافه، وبين الثنايا، وفي الشفتين والخيشوم، فيسمع له عند كل مقطع من تلك المقاطع صوت غير صوت المقطع المجاور له ، فإذا به حرف.

فألهم الله -سبحانه- الإنسان بضم بعضها إلى بعض ، فإذا هي كلمات قائمة بنفسها، ثم ألهمهم تأليف تلك الكلمات بعضها إلى بعض ، وإذا هي كلام دال على أنواع المعاني: أمرا، ونهيا، وخبرا، واستخبارا، ونفيا، وإثباتا، ،إقرارا، وإنكارا، وتصديقا، وتكذيبا،وسؤالا، وجوابا، إلى غير ذلك من أنواع الخطاب ، نظمه ونثره ووجيزه ومطوله، وعلى اختلاف لغات الخلائق، كل ذلك صنعه تبارك وتعالى في هواء مجرد خارج من باطن الإنسان إلى ظاهره، في مجارٍ قد هيئت وأعدت لتقطيعه وتفصيله ، ثم تأليفه وتوصيله ، فتبارك الله رب العالمين.

وإذا كان هذا شأن الحروف فحقيق أن تفتح بها السور، كما افتتحت بها الأقسام".

الحروف تحذو حذو المعاني:

ثم يتناول ابن القيم بعض هذه الحروف المفرده التي بدئت بها بعض السور ، ويمعن النظر فيها ، وفي بقية السورة منها، ويخرج بعد الدراسة والبحث بفكرة جيده تدور حول التناسب بين بدء السورة بالحرف والألفاظ التي تشتمل عليها السورة ، وما تدل عليه الألفاظ تلك من شدة وجهر وقلقلة وانفتاح، مما يبرز

---

(١) السابق ،١٢٧، ١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنى قد يخفى على بعض العلماء، وهو أن حروف الألفاظ تحذو حذو المعاني، يقول في توضيح ذلك [١]:

"تأمل السورة التي اشتملت على الحروف المفردة ، كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك (ق)، والسورة مبنية على الكلمات القافيّة من : ذكر القرآن[٢]، وذكر الخلق[٣]، وتكرير القول ومراجعته مرارا[٤]، والقرب من ابن آدم[٥]،وتلقي الملكين قول العبد[٦]، وذكر الرقيب[٧]، وذكر السائق[٨]، والقرين[٩]، والإلقاء في جهنم[١٠]، والتقديم بالوعيد[١١]، وذكر المتقين[١٢]، وذكر القلب[١٣]، والقرون[١٤]، والتنقيب في البلاد[١٥]، وتشقق الأرض[١٦]، وإلقاء الرواسي فيها[١٧]، وسوق النخل[١٨]، والرزق[١٩]، وذكر القوم[٢٠]، وحقوق الوعيد[٢١].

---

(١) بدائع الفوائد،١٤٣/٣.

(٢) والقرآن المجيد، آية ١.

(٣) أفعيينا بالخلق الأول، (من آية ١٥)ولقد خلقنا الإنسان(من آية ١٦).

(٤) ما يلفظ من قول(من آية ١٨)، وقال قرينه(من آية٢٣)،(من آية ٢٧)، قال لا تختصموا لدي(من آية ٢٨)، ماييدل القول (من آية ٢٩)، يوم نقول لجهنم(من آية ٣٠).

(٥) ونحن أقرب إليه(من آية ١٦)، واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب (آية ٤١).

(٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، (آية ١٧).

(٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (آية ١٨).

(٨) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (آية ٢١).

(٩) وقال قرينه ، (من آية ٢٣- من ٢٧).

(١٠) ألقيا في جهنم (من آية ٢٤)

(١١) وقد قدمت إليكم بالوعيد (من آية ٢٨).

(١٢) وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد (آية ٣١).

(١٣) إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب (من آية ٣٧).

(١٤) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد (من الآية ٣٦- من ٣٧).

(١٥) المصدر السابق.

(١٦) يوم تشقق الأرض عنهم سراعا (من آية ٤٤).

(١٧) والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد(آية ١٠- من١١)

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) كذبت قبلهم قوم نوح... وقوم تبع (من آية ١٢- من ١٤).

(٢١) كل كذب الرسل فحق وعيد ،(من آية ١٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكتفِ ابن القيم بما بين هذا الحرف المفرد الذي بدأت به الآية، وبين بقية السورة من مناسبة لفظية ظاهرة، بل أضاف إلى ذلك المناسبة المعنوية بين هذا الحرف المفرد(ق) الذي يدل بوضعه على الشدة والجهر، وبين معاني هذه السورة التي ملئت بالحروف القافية، وحرف القاف من الحروف الشديدة الجهرية، فناسب ذلك مع الغرض من السورة ، حيث إن نزولها كان في مهاجمة المشركين، وتقرير الوعيد لهم ، وإثبات الحساب والموت والبعث وما يحف ذلك من مكروه يفرون منه ويهربون، فقال :" [1]وشيء آخر، وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حروف القاف من الشدة والجهر والعلو والارتفاع".

ويضيف إلى سورة (ق) سورة أخرى، وهي(ص)، ويبين المناسبة بين بدء السورة بالحرف المفرد(ص)، وبين ما اشتملت عليه السورة من معاني العداوة والخصومة، فقال[2]: " فتأمل ما اشتملت عليه سورة(ص) من الخصومات المتعددة: فأولها : خصومة الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم وقولهم :" أجعل الآلهة إلها واحدا" إلى آخر كلامهم (ص آية ٥-٨)، ثم اختصام الخصمين عند داود[3] ثم تخاصم أهل النار[4]، ثم مخاصمة إبليس ، واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم[5]. ثم خصامه ثانيا في شأن نبيه ، وحلفه ليغوينهم أجمعين إلاّ أهل الإخلاص منهم[6].

ثم يختم حديثه بقوله :" فليتأمل اللبيب الفطن ، هل يليق بهذه السورة غير(ص) وبسورة(ق) غير حرفها، وهذه قطرة من بحر من بعض أسرار هذا الحرف.

---

(١) بدائع الفوائد، ٣/١٣٤.

(٢) بدائع الفوائد، ٣/١٣٤و ١٣٥.

(٣) وهل أتاك نبأ الخصم... (٢١ . ٢٤).

(٤) إن ذلك لحق تخاصم أهل النار... (٥٩-٦٤).

(٥) فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا إبليس.... (٧٣-٧٨).

(٦) قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك المخلصين (الآية ٨٢ . ٨٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنرى تحليق ابن القيم في هذه الآفاق العالية، واختياره تلك اللطائف السامية، وحسه البلاغي الرقيق في توجيه هذا الحرف، فذلك لا يخطر إلاّ على قلب عقول ، ولسان رطب بذكر ربه، دائم التفكير في ملكوته.

ونرى ابن القيم في عقده الصلة بين بدء السورة بالحرف المنفرد(ق) - مثلا- وهو حرف شديد مجهور ، وبين ما جاء في بقية السورة من معاني الوعيد الشديد، والعذاب الأليم، والحساب الدقيق، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، قد انتفع كثيرا بما كان يراه ابن جني، فقد كان يرى أن نسبة كبيرة من الحروف يرتبط صوتها بما تؤديه من معنى ارتباطا وثيقا" فإنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها[1]"، فحرف الخاء - مثلا- في قوله تعالى في وصف الجنة:(فيهما عينان نضّاختان)"الرحمن ٦٦"، يصور بغلظه ، وصوت جرسه، قوة الماء وكثرته، إذ النضخ (بالخاء) أقوى من النضح (بالحاء) ، فقد جعلوا الحاء (لرقتها) للماء الضعيف، والخاء(لغلظها) لما هوأقوى، حذو المسموع من الأصوات على محسوس الأحداث.

فابن القيم قد أجاد الأخذ ، وأحسن في الاستدلال.

ما سبب زيادة حرف (الميم) في (اللهم)؟.

يقول تعالى:"قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء..."(آل عمران من ٢٦) يقول ابن القيم :"[2] (اللهم) لا خلاف أن لفظ (اللهم) معناها: يا الله ، ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال :اللهم غفور رحيم ، بل يقال : اللهم اغفر لي وارحمني.

---

(١) ابن جني، الخصائص تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٦، ٢/١٥٧-١٥٨ وانظر ابن القيم ،مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية والارادة ط٢ ،تصحيح و حمود ربيع مكتبة الأزهر مصر، ١٩٣٩م، ص ٦٠٨-٦٠٩.

(٢) وأنظر ابن القيم جلاء الإفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، ط٢، دار العربية ، الكويت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. ص١٤٣ - ١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واختلف النحاة في الميم المشددة من آخر الاسم"[1] ثم استعرض ابن القيم آراءهم[2]، لكنه لم يقنع بما قاله النحويون، فأخذ يبحث عن سر زيادة الميم في اللهم ، ولماذا كانت الميم هي المزيدة، دون غيرها من الحروف الهجائية؟.

يقول ابن القيم نقلا عن غيره:[3]" قيل : زيدت الميم للتعظيم والتفخيم، كزيادتها في (زرقم) لشدة الزرقة، و(ابنم) في ابن. ويصحح ابن القيم هذا القول ، ويضيف اليه تتمة، فينقل [4] عن أساطين العربية المناسبة بين اللفظ والمعني ، بل الصلة التي تربط بين الحركة ومعنى اللفظ ، يثبت ابن القيم من هذا الاستطراد أن الحروف والألفاظ تحذو حذو المعاني ، ليصل إلى الإجابة عن السؤال، فيقول[5]:

" الميم حرف شفهي يجمع الناطق به شفتيه، فوضعته العرب علما على الجمع، فقالوا للواحد : أنت، فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا:أنتم. وقالوا للواحد الغائب: هو، فإذا جاوزوه إلى الجمع ، قالوا: هم. وكذلك في المتصل يقولون: ضربت، وضربتم، وإياك ، وإياكم، وإياه، وإياهم، ونظائره، نحو به وبهم.

ويقولون للشيء الأزرق: أزرق، فإذا اشتدت زرقته واجتمعت واستحكمت قالوا: زرقم، ويقولون لكبير الاست: ستهم بوزن قنفذ". ثم يزيد في بيان هذا المعنى ، فيقول:

" تأمل الألفاظ التي فيها الميم، كيف تجد الجمع معقودا بها، مثل: لمَّ الشيء يلمه، إذا جمعه،ومنه لمَّ الله شعثه، أي جمع ما تفرق من أموره ، ومنه قولهم: دار لومة، أي تلم الناس وتجمعهم، ومنه: الأكل اللم ، جاء في تفسيرها: يأكل نصيبه ونصيب صاحبه. وأصله من اللمم، وهو الجمع، كما يقال:لفه يلفه.

---

(١) التفسير القيم ٢٠٢

(٢) انظر التفسير القيم ص٢٠٢- ٢٠٥.

(٣) التفسير القيم ص ٢٠٥.

(٤) انظر التفسير القيم ٢٠٥ ،٢٠٨.

(٥) التفسير القيم ص ٢٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه ألمّ بالشيء ، إذا قارب الاجتماع به والوصول إليه ، ومنه اللمم، وهو مقاربة الاجتماع بالكبائر، ومنه: الملمة،وهي النازلة التي تصيب العبد ، ومنه: اللمة،وهي الشعر الذي قد اجتمع وتقلص حتى جاوز شحمة الأذن. ومنه: بدر التم، إذا كمل واجتمع نوره، ومنه التوأم، للولدين المجتمعين في بطن، ومنه الإمام، الذي يجتمع المقتدون به على اتباعه،.. ومنه: رَمَّ الشيء يرمه، إذا أصلحه وجمع متفرقه،.. وقيل سمي الرمان، لاجتماع حبه وتضامنه.

وإذا علم هذا من شأن (الميم). فهم قد ألحقوها في آخر هذا الاسم (اللهم) الذي يسأل العبد به ربه سبحانه في كل حاجة، وكل حال ، إيذانا بجمع أسمائه تعالى وصفاته، فاذا قال السائل : اللهم إني اسألك ، كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم، إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن ، فقال : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك، وابن أمتك ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك، عدل في قضائك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري ، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلاّ أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحا، قالوا يا رسول الله ، أفلا نتعلمهن ؟ قال : بلى ، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن."[1]

الحرف المكرر:

تعرض ابن القيم في أسرار التعبير بالحرف المكرر عند تفسير قوله تعالى:" قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس، من شر الوسواس الخناس..." فقال:" [2]الوسواس: فعلال من وسوس ،وأصل الوسوسة الحركة أو الصوت الخفي

---

(١) التفسير القيم ص٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) التفسير القيم، ص٦٠٠، وبدائع الفوائد ٣٨٤/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي لا يحس، فيحترز منه. فالوسواس : الإلقاء الخفي في النفس، إما بصوت لا يسمعه إلاّ من ألقي إليه، وإما بغير صوت، كما يوسوس الشيطان إلى العبد.

ومن هذا : وسوسة الحلي،وهو حركته الخفيفة في الأذن، ولما كانت الوسوسة كلاما يكرره الموسوس، ويؤكده عند من يلقيه إليه، كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها ، فقالوا: وسوس وسوسة، فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه. ونظير ذلك : زلزل ، ودكدك، وقلقل، وكبكب الشيء.

لأن الزلزلة حركة متكررة، وكذلك الدكدكة، والقلقلة، وكذلك كبكب الشيء: إذا كبه في مكان بعيد ، فهو يكب فيه كبا بعد كب ، كقوله تعالى:" فكبكبوا فيها هم و الغاوون"(الشعراء آيه ٩٤).ومثله : رضرضه، إذا كرر رضه مرة بعد مرة، ومثله : ذر ذره، إذا ذره شيئا بعد شيء ، ومثله : صرصر الباب ، إذا تكرر صريره ، ومثله : مطمط الكلام، إذا مطه شيئا بعد شيء، ومثله : كفكف الشيء إذا كرر كفه، وكذلك قولهم : عج العجل ، إذا صوت ، فإن تابع صوته ، قالوا : عجعج، وكذلك ثج الماء، إذا صب، فإن تكرر ذلك ، قيل : ثجثج. والمقصود : أن الوسواس لما كان يكرر وسوسته ويتابعها ، قيل وسوس."

ثم رجّح أن يكون مثل هذا الفعل (وسوس) من الرباعي لا من الثلاثي المضعف، فقال : " وقد علم بهذا أن من جعل هذا الرباعي بمعنى الثلاثي المضعف لم يصب، لأن الثلاثي لا يدل على تكرار ، بخلاف الرباعي المكرر".

وكلام ابن القيم هذا ، هو كلام ابن جني، تمشيا مع ما بات واضحا من أن نسبة كبيرة من الحروف يرتبط صوتها بما تؤديه من معنى فقد جعل العرب تكرير عين الفعل دليلا على تكرير الفعل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حروف المعاني :

(إن ، وإذا) الشرطيتين:

تتفق (إن) الشرطية مع (إذا) في أن كلا منهما يطلب شرطا وجزاء، لكن(إن) تفترق عن (إذا) في أن مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر عنه المخبر، ولا تدخل في التركيب إلا على أمر مشكوك فيه، تقول:" إن جئتني أكرمك" فالمجيء ليس مقطوعا به ، و لذلك صح دخول (إن) الشرطية عليه.

يقول ابن القيم :"[1]المشهور عند النحاة والأصوليين والفقهاء ، أن أداة (إن) لا يعلق عليها إلاّ محتمل الوجود والعدم ، وكقولك:" إن تأتني أكرمك". ولا يعلق عليها محقق الوجود، فلا تقول:" إن طلعت الشمس أتيتك".

ثم قال بخصوص استعمال إذا :"[2]وإذا يعلق عليها النوعان"، والمراد من النوعين المحتمل الوقوع، والمحقق الوقوع، ثم يمثل ابن القيم لاستعمال(إذا) و(إن) فيقول:"[3] وإذا عرفت هذا فتدبر قوله تعالى:"وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها، وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم ،فإن الإنسان كفور"(الشورى من الآيه ٤٨)، كيف أتى في تعليق الرحمة المحققة إصابتها من الله تعالى ب(إذا)، وأتي في إصابة السيئة ب (إن)، فإن ما يعفو الله عنه أكثر. وأتى في الرحمة بالفعل الماضي الدال على تحقيق الوقوع، وفي حصول السيئة بالمستقبل الدال على أنه غير محقق ولا بد. وكيف أتى في وصول الرحمة بفعل الإذاقة الدال على مباشرة الرحمة لهم ، وأنها مذوقة لهم ، والذوق أخص أنواع الملابسة وأشدها.

وكيف أتى في الرحمة بحرف ابتداء الغاية مضافة إليه فقال :(منا رحمة) وأتى في السيئة بباء السببية مضافة إلى كسب أيديهم. وكيف أكد الجملة الأولى

---

(١) بدائع الفوائد ١/٣٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بدائع الفوائد ١/٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تضمنت إذاقة الرحمة بحرف (إن)، دون الجملة الثانية . وأسرار القرآن أكثر وأعظم من أن تحيط بها عقول البشر."

ثم يستمر ابن القيم في الاستشهاد بآيات القرآن : فيقول: [1]

وتأمل قوله تعالى:" وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلاّ إياه "(الإسراء من الآية ٦٧)، كيف أتى ب(إذا) ههنا لماكان مس الضر لهم في البحر محققا، بخلاف قوله " لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط "(فصلت الآية ٤٩)، فإنه لم يقيد مس الشر هنا بل أطلقه ولما قيده بالبحر الذي هو متحقق فيه ذلك أتى بأداة إذا.

وتأمل قوله تعالى:" وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسا"(الإسراء الآية ٨٣)، كيف أتى هنا بإذا المشعرة بتحقيق الوقوع المستلزم لليأس ، فإن اليأس إنما حصل عند تحقق مس الشر له، فكان الإتيان(بإذا)ههنا أدل على المعنى المقصود من (إن) بخلاف قوله :" وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض"(فصلت من الآية ٥١)، فإنه بقلة صبره وضعف احتماله متى توقع الشر أعرض وأطال في الدعاء ، فاذا تحقق وقوعه كان يؤوسا".

ولما كانت هذه القاعدة يشذ عنها بعض آيات القرآن الكريم ، فقد جمع تلك الآيات الكريمة وعلل لخروجها عن القاعدة بتعليل مقبول ، وتوجيه طريف ، يدل على حسه اللغوي ، وذوقه البلاغي فيقول :[2]

" فإن قلت فما تصنع بقوله تعالى :" إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك" (النساء من الآية ١٧٦)، والهلاك محقق؟

قلت : التعليق ليس على مطلق الهلاك ، بل على هلاك مخصوصا ، وهو

---

(١) بدائع الفوائد ١/٤٠.

(٢) المصدر السابق ١/٤٠-٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هلاك لا عن ولد.

فإن قلت فما تصنع بقوله :" يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون"(البقرة الآية ١٧٢)، وقوله:" فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين"(الأنعام الآية ١١٨)، وفي الحديث في السلام على الموتى:" وإنا إن شاء الله بكم لاحقون"، واللحاق محقق. وفي قول الموصي: إن مت فثلث مالي صدقة". قلت : أما قوله :" إن كنتم إياه تعبدون" الذي حسن مجيء إ ن ههنا الاحتجاج والإلزام، فإن المعنى إن عبادتكم لله تستلزم شكركم له ، بل هي الشكر نفسه فإن كنتم ملتزمين لعبادته داخلين في جملتها فكلوا من رزقه وأشكروه على نعمه وهذا كثيرا ما يورد في الحجاج، كما تقول للرجل : إن كان الله ربك وخالقك فلا تعصه" وإن كان لقاء الله حقا فتأهب له"، وكذلك في "إن كنتم بآياته مؤمنين".

وأما قوله :" وإنا إن شاء الله بكم لاحقون" فالتعليق هنا ليس لمطلق الموت، وإنما هو للحاقهم بالمؤمنين ومصيرهم إلى حيث صاروا .

وأما قول الموصي: إن مت فثلث مالي صدقة" فلأن الموت، وإن كان محققا،لكن لما لم يعرف تعين وقته وطال الأمد وانفردت مسافة أمنية الحياة نزل منزلة المشكوك كما هو الواقع الذي يدل عليه أحوال العباد، فان عاقلا لا يتيقن الموت ويرضى بإقامته على حال لا يحب الموت عليها أبدا ، كما قال بعض السلف : ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت، وعلى هذا حمل بعض علماء المعاني" ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامةتبعثون" (المؤمنون الآية ١٥، ١٦) فأكد الموت باللام وأتى فيه باسم الفاعل الدال على الثبوت وأتى في البعث بالفعل ولم يؤكده."

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا نجد أن ابن القيم يلتمس لخروج (إذا ،إن) عن معانيها التي اشتهرت فيها عللا لطيفة، وأسبابا بلاغية، يقبلها العقل ويألفها الاستعمال ، ويتذوقها الفطن اللبيب.

واو الثمانية :

ذهب قوم من أهل اللغة إلى وجود واو تسمى " واو الثمانية"، وقالوا في توضيحها:[1] إن من خصائص كلام العرب إلحاق الواو في الثامن من العدد، فيقولون: واحد، اثنان، ثلاثة ، أربعة، خمسة، سته، سبعة، وثمانية- فاذا بلغت الثمانية لم تجرها مجرى الأخوات التي لا يعطف بعضها على بعض ، كمايقال في الحروف المقطعة: ألف ، باء، تاء، ثاء، وذلك إشعار بأن السبعة عندهم عدد كامل وتام، وأن ما بعده مستأنف واستدلوا على ذلك بهذه الآيات القرآنية : قوله تعالى:

" التائبون ، العابدون، الحامدون، السائحون، الراكعون، الساجدون، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر"(التوبة من الآية ١١٢). قالوا وجاءت مع الوصف في الآية (والناهون عن المنكر) بعد استيفاءالأوصاف السبعة.

وقوله تعالى:" عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات، قانتات، تائبات، عابدات، سائحات، ثيبات وأبكارا"(التحريم الآية ٥).

فقد جاءت الواو مع الوصف الثامن من الآية و(وأبكارا) بعد استيفاء الأوصاف السبعة.

قوله تعالى:" سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسم كلبهم رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم"(الكهف من الآية ٢٢)، قالوا ودخلت في العدد الثامن.

---

(١) انظر الحريري، درة الغوص في أوهام الخواص ، مكتبة دار المثنى، بغداد، ص:٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله تعالى في أهل الجنة :" وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها"(الزمر من الآية ٧٣)- فأتى بالواو لما كانت أبواب الجنة ثمانية، وقال تعالى في أهل النار:" وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها (الزمر من الآية ٧١)- بدون واو لما كانت أبواب النار سبعة.وقد ذهب المحققون إلى أن هذه الواو ليست واو الثمانية ، وإنما جاءت لمعان سامية وأغراض لطيفة، تتفق مع بلاغة القرآن ، وسمو إعجازه، يقول ابن القيم:(١)" هذه الأجوبة غير سديدة ، وأحسن ما يقال فيها : إن الصفات إذا ذكرت في مقام التعداد ، فتارة يتوسط بينها حرف العطف، لتغايرها في نفسها وللإيذان بأن المراد ذكر كل صفة بمفردها . وتارة لا يتوسطها العاطف لا تحاد موصوفها، وتلازمها في نفسها، وللإيذان بأنها في تلازمها كالصفة الواحدة. وتارة يتوسط العاطف بين بعضها ، ويحذف مع بعض ، بحسب هذين المقامين، فإن كان المقام مقام تعداد الصفات من غير نظر إلى جمع أو انفراد، حسن إسقاط حرف العطف وإن أريد الجمع بين الصفات أو التنبيه على تغايرها، حسن إدخال حرف العطف".

ثم أخذ يوضح ذلك بضرب الأمثلة ، ويمهد للرد على الشواهد السابقة واحدا واحدا، فقال : " فمثال الأول التائبون ، العابدون ، الحامدون.... الآية"، " مسلمات، مؤمنات ، قانتات ....الآية". ومثال الثاني : قوله تعالى:" هو الأول والآخر والظاهر والباطن"(الحديد من الآية ٣)

وتأمل كيف اجتمع النوعان في قوله تعالى :" حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيزالعليم، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول"(غافر ١-من ٣).

فأتى بالواو في الوصفين الأولين وحذفها في الوصفين الآخرين، لأن غفران الذنب وقبول التوب قد يظن أنهما يجريان مجرى الوصف الواحد لتلازمهما ،

---

(١) بدائع الفوائد ٣/٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن غفر الذنب قبل التوب فكان في عطف أحدهما على الآخر ما يدل على أنهما صفتان وفعلان متغايران ومفهومان مختلفان لكل منهما حكمة.

أحدهما : يتعلق بالإساءة والإعراض وهو المغفرة، والثاني يتعلق بالإحسان والإقبال على الله والرجوع إليه وهو التوبة، فتقبل هذه الحسنة ، وتغفر تلك السيئة ، وحسن العطف ههنا هذا التغايرالظاهر.

وكلما كان التغاير أبين كان العطف أحسن، ولهذا جاء العطف في قوله تعالى:" هو الأول والآخروالظاهر والباطن"، وترك في قوله:" الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن " (الحشر من الآية ٢٣)، وقوله :" الخالق البارىء المصور...(الحشر من الاية ٢٤).

وأما " شديد العقاب ذي الطول"، فترك العطف لنكتة بديعة ، وهي الدلالة على اجتماع هذين الأمرين في ذاته سبحانه، وأنه حال كونه شديد العقاب فهو ذو الطول وطوله لا ينافي شدة عقابه، بل هما مجتمعان له ، بخلاف"الأول والآخر"، فإن الأولية لا تجامع الآخرية ، ولهذا فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء"،فأوليته أزليته وآخريته أبديته.

... والذي حسن دخول الواو ههنا هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن- أن هذه الصفات متقابلة متضادة، وقد عطف الثاني منهما على الأول للمقابلة التي بينما ، والصفتان الأخريان كالأولين في المقابلة ، ونسبة الباطن إلى الظاهر ، كنسبة الآخر إلى الأول ، فكما حسن العطف بين الأولين حسن بين الآخريين"[1]

---

(١) بدائع الفوائد ٣/٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن شرح هذه المقدمة أخذ يطبقها على الآيات التي استشهد بها الآخرون على وجود واو الثمانية ، ويردها شاهدا شاهدا، فقال في الشاهد الأول موضحا السبب في وجودها وعدمها:" فإذا عرف هذا فالآية التي نحن فيها يتضح بما ذكرناه معنى العطف وتركه فيها ، لأن كل صفة لم تعطف على ما قبلها فيها كان فيه تنبيه على أنها في اجتماعها كالوصف الواحد لموصوف واحد، فلم يحتج إلى عطف، فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما متلازمان مستمدان من مادة واحدة، حسن العطف ليتبين أن كل وصف منهما قائم على حدته مطلوب في تعيينه ، لا يكتفي فيه بحصول الوصف الآخر، بل لا بد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحه ، ونهيه عن المنكر بصريحه. وأيضا فحسن العطف ههنا ما تقدم من التضاد فلما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ضدين، أحدهما : طلب الإيجاد، والآخرطلب الإعدام، كانا كالنوعين المتغايرين المتضادين فحسن ذلك العطف."

وقال في الشاهد الثاني ملتمسا العلة في ذكر الواو وحذفها:

"[٢] الموضع الثاني قوله تعالى:" عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات..."(التحريم من الآية ٥) إلى قوله"ثيبات وإبكارا. فقيل : هذه واو الثمانية ، لمجيئها بعد الوصف السابع وليس كذلك، ودخول الواو ههنا متعين، لأن الأوصاف التي قبلها المراد اجتماعها في النساء ، وأما وصفا البكارة والثيوبة فلا يمكن اجتماعهما ، فيتعين العطف لأن المقصود أن يزوجه بالنوعين الثيبات والأبكار".

وقال في الآية الثالثة:

"الموضع الثالث ، قوله تعالى:" سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم"(الكهف من الآية٢٢).

قيل المراد إدخال الواو ههنا لأجل الثمانية وهذا يحتمل أمرين أحدهما هذا ، والثاني:أن يكون دخول الواو ههنا إيذانا بتمام كلامهم عند قولهم سبعة ، ثم

---

(٢) المصدر السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابتدأ قوله " وثامنهم كلبهم" وذلك يتضمن تقرير قولهم سبعة[1]، كما إذا قال لك : زيد فقيه ، فقلت: ونحوي. وهذا اختيار السهيلي، وإن هذا إنما يتم إذا كان قوله:" وثامنهم كلبهم " ليس داخلا في المحكي بالقول - والظاهر خلافه - والله أعلم."

وقال في الآية الرابعة والاخيرة : "[2] الموضع الرابع قوله تعالى:" وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها". (الزمر من الآية٧٣). فأتى بالواو لما كانت أبواب الجنة ثمانية ، وقال في النار :" حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها " (الزمر من الآية ٧١) لما كانت سبعة . وهذا في غاية البعد ، ولا دلالة في اللفظ على الثمانية حتى تدخل الواو لأجلها، بل هذا من باب حذف الجواب لنكته بديعة ، وهي أن تفتيح أبواب النار كان حال موافاة أهلها ، ففتحت في وجوههم لأنه أبلغ في مفاجأة المكروه. وأما الجنة فلما كانت ذات الكرامة ، وهي مأدبة الله ، وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره، شرع لهم أبوابها، ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب، أتى بالواو العاطفة ههنا الدالة على أنها جاؤوها بعدما فتحت أبوابها . وحذف الجواب تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره".

وهكذا نرى ابن القيم في حسه البلاغي ، وفقهه للنص القرآني وفق في التعليل المنطقي، فقد علل لوجود الواو في تلك الآيات السابقة تعليلات طريفة ، يقبلها العقل ، ويتذوقها الحس، ويدرك حلاوتها أصحاب الأذواق الصافية والبلاغة العالية ، وهو تعليل تقبله الأفهام ، وتطمئن إليه النفوس، ويرشد إليه سياق القرآن الكريم، فقد ورد في القرآن تسعة أوصاف متتابعة لم يدخل بينها حرف العطف ، حتى ولا بعد الوصف السابع ، وهو قوله تعالى:" ولا تطع كل حلاف

(١) يرى الزمخشري أن الواو هنا آذنت بأن الذين قالوا:(سبعة وثامنهم كلبهم) قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم، والدليل عليه أن الله سبحان أتبع القولين الأولين قوله:(رجما بالغيب) ، وأتبع القول الثالث قوله:(وما يعلمهم إلا قليل)، وهو ما ذهب إليه ابن القيم الزمخشري ، الكشاف رتبه محمد عبدالسلام شاهين ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥-١٩٩٥، ٢/٦٨٥.

(٢) بدائع الفوائد ٣/٤٥، ٢/٣٢٥. التفسير القيم ٤٢٤ - ٤٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مهين ، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم"(ن:الاية ١٠-١٣)، وهذا مما يدل على ضعف القول بما يسمى "واو الثمانية". كما إن الواو كما دخلت على(والناهون) دخلت على (والحافظون) وهي التاسعة فهلاّ قلنابأنها واو التسعة مشابهة لتلك ؟ وحتى لو سلمنا ب(واو الثمانية) لاحتاج الأمر إلى توجيه آخر : لماذا اختصت اللغة العربية الثمانية بهذه الواو دون غيرها من الأعداد؟ وأظن أن محاولة توجيه هذا الجعل الأخير لا يخرج عن تعليلات ليس تحتها طائل.

التعبير ب(على) دون (الباء) :

ينقل ابن القيم [1]عن السهيلي أن قوله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام:" ولتصنع على عيني"(طه من الآية ٣٩)، حقيقة لا مجاز - كما توهم أكثر الناس لأنها صفة في معنى الإدراك ، وإنما المجاز تسمية العضو بها وكل شيء يوهم التجسيم فلا يضاف إلى الباري تعالى ، لا حقيقة ولا مجاز...

ثم يستمر السيهلي في المناقشة في أمور كلامية ، وينتهي إلى أن يقول:"[2] ومن فوائد هذه المسألة أن يسأل عن المعنى الذي لأجله قال تعالى :" ولتصنع على عيني" بحرف (على) ، وقال تعالى:" تجري بأعيننا" (القمر من الآية ١٤)، "واصنع الفلك بأعيننا" (هود من الآية ٣٧)، وما الفرق ؟

وبعد أن يصور المسألة يجيب ، فيقول :

" الفرق أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفيا ، وابداء ما كان مكتوما ، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون ويصنعون سرا، فلما أراد أن يصنع موسى، ويغذى ، ويربى، على حال أمن وظهور، لا تحت خوف واستسرار ، دخلت

---

(١) بدائع الفوائد ٢/١٨٧.، والسهيلي -(-٥٨١)، نتائج الفكر في النحو ، تحقيق محمد البنا ط٢، دار الاعتصام، مكة المكرمة ١٩٨٤، ص٢٩٢.

(٢) بدائع الفوائد ٢/١٩٠، نتائج الفكر ص٢٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(على) في اللفظ، تنبيها على المعنى ، لأنها تعطي الاستعلاء، والإستعلاء ظهور وابداء، فكأنه يقول سبحانه وتعالى: ولتصنع على أمن، لا تحت خوف ، وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة وأما قوله تعالى:" تجري بأعيننا"،" واصنع الفلك بأعيننا" فإنه إنما يريد برعاية منا وحفظ، ولا يريد إبداء شيء ولا إظهار بعد كتم، فلم يحتج في الكلام إلى معنى(على)، بخلاف ما تقدم ، هذا كلامه[1].

ثم يقول ابن القيم تعقيبا على إجابته تلك:" ولم يتعرض رحمه الله تعالى لوجه الإفراد هناك، والجمع هنا ، وهومن ألطف معاني الآية ، والفرق بينهما يظهر من الاختصاص الذي خص به موسى في قوله تعالى:" واصطنعتك لنفسي" (طه ٤١)، فاقتضى هذا الاختصاص الاختصاص الآخر، في قوله:" ولتصنع على عيني" فإن هذه الإضافة إضافة تخصيص.

وأما قوله تعالى:" تجري بأعيننا"، " واصنع الفلك بأعيننا" فليس فيه من الاختصاص في صنع موسى على عينه- سبحانه وتعالى - وإصطناعه إياه لنفسه.

وما يسنده سبحانه إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع قد يريد به ملائكته، كقوله تعالى: " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه"(القيامة الآية١٨) وقوله:" ونحن نقص عليك"(يوسف من الآية ٣) ونظائره ، فتأمل .

فنرى ابن القيم يفرق في المعنى بين دخول حرف (على) وحرف (الباء) على لفظ (العين) ، ويوافق السهيلي على أن الحرف (على) من دلالته على المعنى ما ليس لحرف (الباء)، إذ حرف (على) في قوله تعالى " ولتصنع على عيني" يدل على أن تغذية موسى وتربيته كانت على حال أمن وسرور، لا تحت خوف واستسرار ، فحرف (على) يعطي معنى الاستعلاء ، ويدل على الظهور. أما حرف (الباء) في "تجري بأعيننا" ، "واصنع الفلك بأعيننا" فليس في حاجة إلى التعبير بـ(على)، إذ

(١) الضمير للسهيلي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراد الرعاية والحفظ فقط، وهذا يكفي في إفادته حرف(الباء) ثم إن ابن القيم يضيف إضافة على ما أفاده السهيلي ، وهي:

أن صيغة الإفراد "ولتصنع على عيني" فيها معنى الاختصاص الذي خص الله به موسى في قوله"واصطنعتك لنفسي" وهذا مفقود في الآيتين الأخريين.

كما أن صيغة الجمع قد يراد بها الملائكة ، كما هو واضح من الآيات الأخرى، فصيغة المفرد تدل على معنى ، لا تدل عليه صيغة الجمع، ولكل كلمة في القرآن بل وكل حرف فيه فائدة لا يفيده غيره من الحروف ، ولا يحل محله فيها سواه.

ولقد كان ابن القيم موفقا في هذا الاتجاه، فقد كان يفسر قوله تعالى للرسول -عليه السلام- في قصة المعراج " وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلاَّ وحي يوحى"(النجم الآية ٣-٤)، فأورد على نفسه سؤالا، ولماذا لم يقل : وما ينطق بالهوى؟ وكانت إجابته[1]:" لأن نطقه عن الهوى أبلغ ، فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى، وإذا لم يصدر عن هوى، فكيف ينطق به، فتضمن نفي الأمرين: نفي الهوى عن مصدر النطق ، ونفيه عن نفسه".

التعبير ب(على) دون (اللام)

يرى ابن القيم أن مادة (السلام) إذا عديت ب(على) كان لها معنى يغايره إذا عديت بـ(اللام)، إذ كل حرف مع لفظ (السلام) معنى ، يفهمه أهل اللغة،ويعرفه ذوو البلاغة ، ويمهد لهذا بمقدمة ، يقول فيها [2]:

"ما معنى قوله: سلمت؟ فاذا عرف معناها عرف أن حرف(على) أليق به،

---

(١) التبيان في أقسام القران ص١٥٥.

(٢) بدائع الفوائد ٣٠٢/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاعلم أن لفظ (سلمت عليه، وصليت عليه، ولعنت فلانا) موضوعها ألفاظ هي جمل طلبية .. فقولك سلمت موضوعه ، قلت : السلام عليك وموضوع صليت عليه، قلت : اللهم صل عليه ، او دعوت له ، وموضوع لعنته ، قلت : اللهم العنه..."

وبعد هذه المقدمة يقول :" وإذا ثبت هذا ، فقولك : سلمت عليه ، أي ألقيت عليه هذا اللفظ، وأوضعته عليه، إيذانا باشتمال معناه عليه، كاشتمال لباسه عليه، وكان حرف (على) أليق الحروف به .

وأما قوله تعالى:" وأما إن كان من أصحاب اليمين، فسلام لك من أصحاب اليمين " (الواقعة الآية ٩٠-١٩) فليس هذا سلام تحية[1] ، ولو كان سلام تحية لقال: "فسلام عليه" كما قال "سلام على ابراهيم" (الصافات الآية ١٠٩) "سلام على نوح" (الصافات من الآية ٧٩). ولكن الآية تضمنت ذكر مراتب الناس وأقسامهم عند القيامة الصغرى حال القدوم على الله، فذكر أنهم ثلاثة أقسام : مقرب له الروح والريحان، وجنة النعيم ومقتصد، من أصحاب اليمين، له السلامة، فوعده بالسلامة، ووعد المقرب بالغنيمة والفوز ، وإن كان كل منهما سالما غانما ، وظالم بتكذيبه وضلاله، فأوعده بنزل من حميم وتصلية جحيم.

فلما لم يكن المقام مقام تحية ، وإنما هو مقام إخبار عن حاله، ذكرما يحصل له من السلامة ... أما معنى(اللام) في قوله(لك) : فاعلم أن المدعو به من الخير والشر مضاف إلى صاحبه بلام الإضافة الدالة على حصوله له، ومن ذلك قوله تعالى:" اولئك لهم اللعنة" (الرعد من الآية ٢٥) ولم يقل "عليهم اللعنة" إيذانا بحصول معناها ، وثبوته لهم . وكذلك "ولكم الويل مما تصفون"(الانبياء من الآية ١٨). ويقول في ضد ذلك : لك الرحمة ولك التحية ، ولك السلام ، ومنه هذه الآية

(١) انظر نتائج الفكر، ٤١٥ والزملكاني، التبيان في علم المطلع على إعجاز القران، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط١ مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٤، ص٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(فسلام لك) أي ثبت لك السلام ، وحصل لك .

وعلى هذا ، فالخطاب لكل من هو من هذا الضرب، فهو خطاب للجنس، أي فسلام لك يا من هو من أصحاب اليمين ".

فابن القيم يلاحظ أن في التعبير القراني فرقا بين تعدية الفعل (سلم) بحرف(على) وتعديته بحرف(اللام) في قوله تعالى:"سلام على نوح"،"فسلام لك" فحرف "على" يفيد الإحاطة والشمول ، كما يشمل اللباس على لابسه، ولهذا ، كان تعدية الفعل (سلم) بـ (على) أليق بالمقام ، وأبلغ في المعنى من (اللام). أما(فسلام لك) حيث عدى الفعل بـ(اللام)، فالمعنى على إضافة معنى الخبر إلى صاحبه ، وثبوته له، دون معنى الاشتمال والإحاطة.

التعبير بـ(على) دون(إلى) أو (الغاء):

لما استكبر إبليس على السجود لآدم أخرجه الله تعالى من رحمته، وحلت عليه لعنته، فقال إبليس :" رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض، ولأغوينهم أجمعين، إلاّ عبادك منهم المخلصين" (الحجر من الآية ٣٩-٤٠)، فرد الله عليه بقوله :"هذا صراط علي مستقيم"(الحجر من الآية ٤١).

قال ابن القيم[1] " هذا صراط علي مستقيم" قال الحسن معناه: صراط إلي مستقيم ، وهذا يحتمل أمرين: أحدهما : أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض، فقامت أداة(على) مقام(إلى).

والثاني أنه أراد التفسير على المعنى : وهو الأشبه بطريق السلف، أي صراط موصل إلي، وقال مجاهد: الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه ، لا يعرج على شيء. وهذا مثل قول الحسن ، وأبين منه ، وهو أصح ما قيل في الآية.

(١) التفسير القيم ١٥-١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقيل :(علي) فيه للوجوب، أي علي بيانه، وتعريفه ، والدلالة عليه.

والقولان نظير القولين في آية النحل:" وعلى الله قصد السبيل"(النحل من الآية٩)، والصحيح منها كالصحيح في آية الحجر: أن السبيل القاصد- وهو المستقيم المعتدل - يرجع إلى الله ، ويوصل إليه كقول الشاعر:

فهن المنايا : أي وادٍ سلكنه عليها طريقي ، أو علي طريقها.

ثم أراد ابن القيم أن يبين السر في التعبير بـ(علي) دون (إلي) في الآيتين الكريمتين، فأتى بهذا الاعتراض والجواب عنه ليكون مدخلا لبيان السر البلاغي في هذا التعبير ، فقال:

" فإن قيل : لو أريد هذا المعنى ، لكان الأليق به أداة(إلى) التي هي للانتهاء ، لا أداة (على) التي هي للوجوب، ألا ترى أنه لما أراد الوصول قال :" إن إلينا إيابهم" (الغاشية الآية ٢٥) وقال :" إلينا مرجعهم" (لقمان من الآية ٢٣)، " ثم إلى ربهم مرجعهم "(الأنعام من الاية ١٠٨). وقال لما أراد الوجوب:" ثم إنّ علينا حسابهم" (الغاشية الآية ٢٦) " إنَّ علينا جمعه وقرآنه"(القيامة الآية ١٧)، " وما من دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها" (هود من الآية ٦)، ونظائر ذلك . قيل : في أداة (على) سر لطيف ، وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى، وهو حق ، كما قال في حق المؤمنين:" أولئك على هدى من ربهم " (البقرة من الآية ٤)، وقال لرسول صلى الله عليه وسلم :" فتوكل على الله،إنك على الحق المبين" (النمل الآية ٧٩)، والله عزوجل هو الحق، وصراطه حق، ودينه حق ، فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى، فكان في أداة (على) على هذا المعنى ما ليس في أداة(إلى) - فتأمله فإنه سر بديع".

كما أراد ابن القيم أن يبين فائدة التعبير بـ(على) دون (في)، فأتى بهذا السؤال والجواب ليظهر السر من هذا التعبير دون سواه، فقال:

"فإن قلت: فما الفائدة في ذكر (على) - في ذلك أيضا - وكيف يكون المؤمن مستعليا على الحق ، وعلى الهدى؟.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت ، لما فيه من استعلائه[1] وعلوه بالحق والهدى، مع ثباته عليه ،واستقامته إليه ، فكان في الإتيان بأداة (على) ما يدل على علوه وثبوته واستقامته.

وهذا بخلاف الضلال والريب، فإنه يؤتى فيه بأداة (في) الدالة على انغماس صاحبه ، وانقماعه ، وتدسسه فيه ، كقوله تعالى" فهم في ريبهم يترددون" (التوبة من الآية ٤٥)، وقوله " والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات" (الأنعام من الآية٣٩) وقوله :" فذرهم في غمرتهم حتى حين" (المؤمنون الآية ٥٤)، وقوله " إن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب"(الشورى من الآية١٤).

وتأمل قوله تعالى:" وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين " (سبأ الآية ٢٤) ، فإن طريق الحق تأخذ علوا صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير، وطريق الضلال تأخذ سفلا هاوية بسالكها في أسفل السافلين.

ثم رجع إلى الآية مرة أخرى " هذا صراط علي مستقيم ". ورد على القول الذي نقله، وهوأن (على) المراد بها الوجوب، أي علي بيانه وتعريفه والدلالة عليه، فقال : وأما من فسره بالوجوب ، أي علي بيان استقامته والدلالة عليه، فالمعنى صحيح، لكن في كونه هو المراد بالآية نظر، لأنه حذف في غير موضع الدلالة ، ولم يُؤلف الحذف المذكور ليكون مدلولا عليه إذا حذف. بخلاف عامل الظرف إذا وقع صفة ، فإنه حذف مألوف معروف ، حتى إنه لا يذكر ألبته ، فإذا قلت : له درهم علي ، كان الحذف معروفا مألوفا، فلو أردت علي نقده ، أو علي حفظه ووزنه، ونحو ذلك ، وحذفت ، لم يسغ.

وهذا نظير:(علي بيانه) المقدر في الآية ، مع أن الذي قاله السلف ، أليق بالسياق ، وأجل المعنيين ، وأكبرهما.

وسمعت شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية -رضي الله عنه- يقول : وهما

---

(١) وانظر الفوائد المشوق ص٢٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظير قوله تعالى:" إنّ علينا للهدى، وإنّ لنا للآخرة والأولى" (الليل الآية ١٢-١٣)، قال : فهذه ثلاثة مواضع في القرآن في هذا المعنى "

فابن القيم يبين سر التعبير بحرف (على) دون حرف(إلى، أو في) في هذه الآيات الثلاث "هذا صراط علي مستقيم "، "وعلى الله قصد السبيل"، " إن علينا للهدى"، فحرف (على) قد أفاد فائدة جليلة في هذه الآيات ، وهي الإشعار بأن السالك على هذا الصراط هو على الحق والهدى ، وهو مستعل عليه ، وثابت غاية الثبات ، وظاهر فوقه، ومستقيم عليه نهاية الاستقامة ، بخلاف حرف (الى) فإنه يدل على النهاية والوصول ، وحرف (في) يفيد الدس و الانغماس، وهذا بعيد عن الفصاحة، وقصي عن طرق البيان ، ولهذا فحرف (على) هنا ألزم للمعنى من (إلى) و (في) .

وهكذا نجد أن حروف القرآن هي حروف العرب نفسها لكن حينما دخلت في كلمة منه كانت كاللآلىء، وحينما سلكت في نظمه تحولت إلى جواهر ، فهو يتخير حروفها صافية الذوق ، سهلة في مخارجها ، حسنة في أصواتها ، حتى تكون طيبة المجرى على اللسان . لذيذة السماع على مستقبلها ، نازلة على أحسن هيئة في الإيقاع، شديدة البعث لما تتضمنه من المعاني والأغراض.

واستخدام القرآن لحروف المعاني كانت وفق الحاجة فلم تكن بالزيادة التي ترهق السامع أو تشعره بالملل ، وكان كل حرف في موضعه بحيث لا يستغنى عنه، ولا يمكن أن يستبدل به غيره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلمة في القرآن :[1]

الكلمة القرآنية، خفيفة على السمع ، سهلة في النطق عذبة تدل على المعنى المراد بيسر وسهولة. والقرآن الكريم حينما يستعمل الكلمة في تعبير يقصد من استعمالها دون غيرها معنى فيها لا يوجد في سواها.

وقد يظن صاحب الفطرة النقية والسليقة العربية أن بالإمكان التغيير أو التبديل ، لكن هذا لا يكون، فقدرته- مهما بلغت- قدرة بشر، فأين هي من قدرة الله ، ومن صنعه؟ " صنع الله الذي أتقن كل شيء إنّه خبير بما تفعلون" (النمل من الآية ٨٨).

ولقد زعمت الأعراب - يوما- الإيمان، وحكى القرآن الكريم قولهم "آمنا" ولكن الله سبحانه أراد أن يرشدهم إلى التعبير الصحيح، ويدلهم على الكلمة التي تفصح عما في نفوسهم ، فقال تعالى:" قل : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " (الحجرات من الاية ١٤).

فالدقة في التعبير ، والحيطة في استعمال الكلمة مطلب قراني ، حرص عليه، ونبه المؤمنين إليه، حتى لا تضل المعاني بين الأفهام ، ويضيع المقصود من خلال الاحتمالات .

وسنرى من خلال تفسير ابن القيم ما يوضح هذا المعنى ، فإلى حديث ابن القيم.

الفروق الدقيقة بين المترادفات:

القرآن الكريم ينتقي ألفاظه ، ويختار كلماته ، لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، فيستخدم كل كلمة بدقة بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد يكاد السامع يؤمن بأن هذا المكان خلقت له هذه الكلمة بعينها، وأن كلمة

(١) انظر د. منير سلطان بلاغة الكلمة والجملة والجمل المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٨، ص٤٥ ،٤٧ ،٤٨ ،٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرى لا تؤدي المعنى الذي أفادته أختها.

وعلى هذا فقضية الترادف في التعبير القرآني غير واقعة ، إذ أن كل كلمة لا بد أن تؤدي معنى جديدا وتبعث في النفس ايحاءات خاصة .

وقضية الترادف قضية قديمة "حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن عربي عن أبي على الفارسي ، فقال : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو علي ، وقال : ما أحفظ له إلا اسما واحدا وهو السيف، قال ابن خالويه: فأين المهند ، والصارم ، وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفات"(١).

فالمترادفات إنما تحسب مترادفات إذا ما أريد منها الدلالة الإجمالية للمعنى وهذا ما يقتنع به أنصاف المتعلمين ، والعامة من المتكلمين ، وغيرهم ممن يكتفى من مخاطبه بإيصال خلاصة كلامه ، ومجمل أفكاره .

أما من علم من اللغة علما أورثه ذوقا فيها ، وملكة في معرفة أصولها وقواعدها وسبر هذه الكلمات واستخرج ما بينها من فروق وخصائص ، فليست هذه الكلمات من المترادفات .

وفي الكلام العربي ألفاظ يحسبها أكثر الناس متساوية في بيان المراد، غير أن لكل لفظة خاصة تميزها عن اللفظة التي تقاربها في بعض المعنى ، أو تشترك معها في بعض الدلالة . والقرآن الكريم قد يستعمل لفظا معينا دون مرادفه لأن للفظ القرآني الذي أتى عليه خاصة في دلالته على المراد، وميزة في إشارته إلى المقصود لا تكون لمرادفه .

---

(١) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه ، القاهرة ، بيروت ، ١/٤٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزوج - والمرأة :

من الثابت في كلام العرب أن كلمة زوج تعني : الفرد المزواج لصاحبه، أي الواحد ومعه مثله ، فكل منهما زوج ، فأما الاثنان المصطحبان ، فيقال لهما: زوجان فيقال للذكر والأنثى من الطير: زوجان ، يقول تعالى :" وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى" (النجم الاية ٤٥-٤٦). ويقول :"ثمانية أزواج من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين... ثم يقول : ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين" (الانعام من الآية ١٤٣- من ١٤٤). فقد جعلها الله ثمانية وهي أربعة ، لأنه أراد ذكرا وأنثى من كل صنف، فالأنثى زوج والذكر زوج[١]. وعلى هذا فامرأة الرجل وحليلته يقال لها : زوج ، وبهذا جاء القرآن الكريم ، فقال تعالى لآدم -عليه السلام- " اسكن أنت وزوجك الجنة" (الأعراف من الآية ١٩) . وقال في شأن زيد بن حارثة :" وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ، وأنعمت عليه ، أمسك عليك زوجك" (الأحزاب من الآية ٣٧). وقال في حق زكريا - عليه السلام- "فاستجبنا له ،ووهبنا له يحيى، وأصلحنا له زوجه"(الأنبياء من الاية ٩٠).

هذا هو الاستعمال الكثير في اللغة والذي نزل به القرآن الكريم ، وقد يقال لامرأة الرجل وحليلته (زوجة) - بالتاء- . والأولى في الاستعمال ، والأصح في الكلام ماجاء به القرآن الكريم ، فلفظ (الزوج) أفصح من لفظ(الزوجة).

ويلاحظ ابن القيم أنه قد وقع في القرآن الإخبار عن أهل الإيمان بلفظ الزوج مفردا وجمعا ، ويخبر عن أهل الشرك بلفظ المرأة ، فيسجل هذه الملاحظة ويحاول أن يجد لها علة واضحة، وسرا معقولا ، فيقول :[٢]

" وقد وقع في القرآن الإخبار عن أهل الإيمان بلفظ (الزوج) -مفرد وجمعاً،

---

(١) درة الغواص، ١٨٥.

(٢) التفسير القيم ص١٣١-٣٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كقوله تعالى لآدم - عليه السلام- :" اسكن أنت وزوجك الجنة" وقوله :" النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم "(الأحزاب الآية ٦)، وقوله يا أيها النبي قل لأزواجك" (الأحزاب من الآية ٣٨). والإخبار عن أهل الشرك بلفظ (المرأة)) قال تعالى :" تبت يدا أبي لهب وتب، إلى قوله - وامرأته حمالة الحطب"(المسد الآية ١-٤). وقالى تعالى في فرعون :" ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون" (التحريم من الآية ١١) فلما كان هو المشرك وهي المؤمنة لم يسمها زوجا له.

وقال تعالى :" ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط" (التحريم من الآية ١٠)، فلما كانتا مشركتين أوقع عليهما اسم المرأة.

فلماذا الإخبار عن أهل الشرك بلفظ (المرأة) - دون لفظ (الزوج)- مع أنهما بمعنى واحد؟.

نقل ابن القيم عن السهيلي في الإجابة عن هذا السؤال قوله :" لم يقل في حق هؤلاء(الأزواج) لأنهن لسن بأزواج لرجالهن في الآخرة، ولأن التزويج حلية شرعية ، وهو من أمر الدين ،فجرد الكافرة منه ، كما جرد منه امرأة نوح وامرأة لوط.

وقد أورد السهيلي على نفسه قول زكريا - عليه السلام- " وكانت امرأتي عاقرا" (مريم من الآية ٥)، وقوله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام- " فأقبلت امرأته في صرة" (الذاريات من الآية ٢٩).

وأجاب: بأن ذكر(المرأة) أليق في هذه المواضع ، لأنه في سياق ذكر الحمل والولادة ، فذكر المرأة أولى به ، لأن الصفة - التي هي الأنوثة- هي المقتضية للحمل والوضع، لا من حيث كانت زوجا".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن ابن القيم لم يرتض هذه الإجابة من السهيلي ، ولم يوافق على هذا التعليل، بل وجد في هذا التعبير القرآني أسرارا بلاغية أخرى، فقال : "قلت : ولو قيل:" إن السرفي ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ (الأزواج) أن هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة ، والمجانسة ، والاقتراب – كما هو المفهوم من لفظه، لكان أولى .

فإن (الزوجين) هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان والمتساويان ومنه قوله تعالى " احشروا الذين ظلموا وأزواجهم " (الصافات من الآية ٢٢.) قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – "(أزواجهم) أشباههم ونظراؤهم". وقاله الإمام أحمد أيضا . ومنه قوله تعالى:" وإذا النفوس زوجت" (التكوير الآية ٧) أي قرن بين كل شكل وشكله في النعيم والعذاب ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في هذه الآية " الصالح مع الصالح في الجنة ، والفاجر مع الفاجز في النار"، وقاله الحسن وقتادة والأكثرون..

وقال تعالى :" ثمانية أزواج" ثم فسرها بقوله " من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ... ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين" فجعل الزوجين هما : الفردان من نوع واحد .

ولا ريب أن الله سبحانه قطع المشابهة والمشاكلة بين الكفار والمؤمنين، قال تعالى :" لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة"(الحشر من الآية ٢٠).

وقال تعالى في حق مؤمني أهل الكتاب :" ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة "... الآية (آل عمران من الآية ١١٣). وقطع الله – سبحانه – المقارنة بينهما في أحكام الدنيا ، فلا يتوارثان ، ولا يتناكحان ولا يتولى أحدهما صاحبه، فكما انقطعت الصلة بينهما في المعنى، انقطعت في الاسم ، فأضاف فيها اسم (المرأة)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلفظ الأنوثة المجردة، دون لفظ المشاكلة والمشابهة.

فتأمل هذا المعنى تجده أشد مطابقة لألفاظ القرآن ومعانيه، ولهذا وقع على المسلمة امرأة الكافر، وعلى الكافرة امرأة المؤمن لفظ (المرأة) دون لفظ(الزوج) تحقيقا لهذا المعنى .

وتأمل هذا المعنى في آية المواريث، وتعليقه - سبحانه-التوارث فيها بلفظ الزوج) دون (المرأة) كما في قوله تعالى :" ولكم نصف ما ترك ازواجكم" (النساء من الاية ١٢) وذلك إيذان بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب ، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب ، فلا يقع بينهما التوارث.

وختم كلامه بقوله :" وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين ".

بهذه التفرقة بين لفظ (الزوج والمرأة) في التعبير القرآني بلغ ابن القيم القمة في فهمه لألفاظ القرآن الكريم ، والغوص وراء معاني الكلمات حتى يصل إلى سر اختيار كلمة بذاتها دون غيرها. والبحث عن اللطائف والطرائف التي تكمن خلف هذه التعبيرات بتلك المفردات .

فلأن لفظ (الزوج) يشعر بالمجانسة والمشاركة بين كل من الزوجين - كما هو مفهوم من لفظه - وكما يفيده القرآن الكريم في قوله :" وإذا النفوس زوجت" ، " ولكم نصف ما ترك أزواجكم" ففي يوم القيامة يقرن الله - تعالى - بين كل شكل وشكله في النعيم أو العذاب، وفي الدنيا لا يكون التوارث إلا مع المشاكلة والتوافق، فلا يكون بين مؤمن وكافر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذه العلة جاء في التعبير القرآني الإخبار عن جماعة المؤمنين بلفظ (الزوج)، فقال تعالى :"ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون" (الزخرف آية ٧٠)،"إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون"، (يس آية ٥٥ - ٥٦) لما بين الطرفين من المشاركة والمشابهة.

وحين أخبر القرآن الكريم عن أهل الشرك جاء التعبير القرآني بلفظ (المرأة) بلفظ الأنوثة المجردة، الذي لا يشعر بأي تناسب أو تشاكل بين الطرفين، إذ لا تناسب بين امرأة نوح وامرأة لوط وزوجيهما، فامرأتان مشركتان، والزوجان من الأنبياء والرسل ، فكما افترقا في الملة والدين وجب أن يفترقا في التعبير، وصدق الله العظيم " لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة".

وهكذا تجد أن لفظ (الزوج) حينما جاء في التعبير القرآني جاء لمعنى تكون فيه المشابهة واضحة، والمشاكلة ظاهرة ، والتساوي بين الطرفين موجودا، والتناسب بين الجانبين مشاهدا.

أما لفظ (المرأة) فجاء في التعبير القرآني حينما كانت المشابهة بين الجهتين غير ممكنة، والتناسب غير واقع ، والتساوي مستحيلا ، والمشاكلة غير واردة.

مرضع و مرضعة:

يصور الله تعالى هول يوم القيامة ، والفزع الذي يصيب الناس فيه بحيث لا يدع في النفس بقية من وعي ، فيقول :" يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها " (الحج الآية ١من٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصل في لغة العرب أن لفظة(مرضع) -بدون التاء- وصف خاص بالمرأة ولا يكون هذا الوصف للرجل، ولهذا لا تدخل التاء عليها، إذ الأمور الخاصة بالمرأة لا تدخلها التاء ، فلا يقال رجل مرضع ، وامرأة مرضعة، وانما يقال : امرأة مرضع فقط.

كذلك لا يقال : رجل حامل ، وامرأة حاملة ، وإنما يقال : امرأة حامل فقط- إذا كانت حبلى- فإذا حملت شيئا على رأسها أو على ظهرها، فيقال لها حينئذ:(حاملة ، أو حمالة) ، قال تعالى :" وامرأته حمالة الحطب"(المسد الآية ٤).

وإذا كان هذا هو طريقة نظم الكلام عند العرب، فلماذا جاء القرآن الكريم بالتاء في كلمة (مرضعة) في الآية السابقة ، مع أنه وصف يختص به الإناث؟

يرى ابن القيم في تعبير القرآن بهذه الصيغة بذاتها فيها سر من الأسرار القرآنيه ولطيفة من اللطائف الربانية ، فيقول:(١)

" فإن دخول التاء ههنا يتضمن فائدة لا تحصل بدونها فتعين الإتيان بها وهي أن المراد ب(المرضعة) فاعلة الإرضاع، فالمراد الفعل لا مجرد الوصف ولو أريد الوصف المجرد بكونها من أهل الإرضاع لقيل : مرضع، كحائض وطامث، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم " لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار" فإن المراد به : الموصوفة بكونها من أهل الحيض، لا من يجري دمها ، فالحائض والمرضع: وصف عام يقال على من لها ذلك وصفا ، وإن لم يكن قائما بها.

فأدخلت التاء ههنا إيذانا بأن المراد من تفعل الإرضاع فإنها تذهل عما ترضعه لشدة هول زلزلة الساعة ، وأكد هذا المعنى بقوله :" عما أرضعت" - فعلم أن المراد: المرضعة التي ترضع بالفعل ، لا بالقوة والتهيؤ.

فـ(المرضعة) أبلغ من (المرضع) في هذا المقام ،فإن المرأة قد تذهل عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاعة، فإذا التقم الثدي، واشتغلت برضاعه لم تذهل عنه

(١) التفسير القيم ص٢٧٠، ٣٦٦، بدائع الفوائد ٢٣١/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا لأمر هو أعظم عندها من اشتغالها بالإرضاع.

ثم ينتقل إلى التعبير الآخر في الآية " وتضع كل ذات حمل حملها" ويكشف عن سبب التعبير بـ"كل ذات حمل" دون لفظ (حامل) فيقول :

"وتأمل يرحمك الله-السر البديع في عدوله – سبحانه- عن " كل حامل " إلى قوله" ذات حمل" فإن (الحامل) قد تطلق على المهيأة للحمل ، وعلى من هي في أول حملها ومباديه ، فإذا قيل : ذات حمل ، لم يكن إلا لمن قد ظهر حملها وصلح للوضع كاملا، أو سقطا ، كما يقال : ذات ولد.

فأتي في (المرضعة) بالتاء التي تحقق فعل الإرضاع دون التهيؤ له . وأتى في (الحامل) بالسبب الذي يحقق وجود الحمل وقبوله للوضع..".

فنرى أن كل كلمة في التعبير القرآني لها في مكانها وضع خاص، وتدل على غرض معين ولو حاولنا تغيير أي لفظة بأخرى، فسد التعبير ، وتبدل المعنى.

فكلمة (مرضعة) – بالتاء- تتضمن فائدة لا تكون بدونها، ولذلك تعين الإتيان بها إذ المراد بها: فاعلة الإرضاع والمتلبسة به ، ولو قيل :مرضع ، لأفاد مجرد الوصف، وكونها من أهله، فالتاء تؤذن بأن المرأة التي تلقم الثدي لابنها الصبي تذهل عما ترضعه لشدة الهول وعموم الفزع، وهي لم تفعل ذلك إلا لأمر هو أعظم عندها من الاشتغال بالإرضاع.

ومثل ذلك كلمة (ذات حمل) فهي اللفظة التي تدل على تحقق الحمل ووجوده أما كلمة (حامل) فتطلق على المرأة المهيأة للحمل ، أو يكون حملها في مباديه، والهول يكون أعظم عندما تضع كل امرأة يكون حملها متحققا و ثابتا، لا عندما تكون المرأة مهيأة للحمل أو في مباديه.

ومن هنا كان ابن القيم دقيقا في حسه البلاغي، وموفقا في تصوره اللغوي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ماضل صاحبكم" دون " ما ضل محمد":

يؤكد الله تعالى أن نبيه صلى الله عليه وسلم على الحق، ودعوته هي الطريق المستقيم والدين القويم ، ويقسم على ذلك فيقول :" والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى"(النجم الآية ١ ، ٢).

فلماذا جاء التعبير هكذا " ما ضل صاحبكم" دون"ماضل محمد" وعند النظرة الأولى ، نرى أن العبارة الأخيرة هي الأولى في التعبير ، فلم آثر العبارة الأولى دون الثانية؟.

يقول ابن القيم :[1]" وتأمل كيف قال -سبحانه- :" ما ضل صاحبكم" ولم يقل " ما ضل محمد" تأكيدا لإقامة الحجة عليهم ، بأنه صاحبهم ، وهم أعلم الخلق به وبحاله، وأقواله وأعماله ، وأنهم لا يعرفونه بكذب ولاغي ولا ضلال، ولا ينقمون عليه أمرا واحدا قط، وقد نبه على هذا المعنى بقوله:"أم لم يعرفوا رسولهم"(المؤمنون من الآية ٦٩)، وبقوله :" وما صاحبكم بمجنون" (التكوير الآية ٢٢) يظهر من هذا الدقة الواضحة في التعبير ، والتحديد الكامل لمعنى اللفظ، والإتيان به في خاص معناه، ولو كان أحد اللفظين في موضع الآخر لأوقع السامع صاحب الفطرة السليمة، والطبع الصحيح، والذوق اللغوي في حيرة وارتباك، وأدخل عليه اللبس والخلط.

إيثار المفرد على الجمع ، أو الجمع على المفرد:

اذا دققنا النظر في آيات الذكر الحكيم، نلاحظ أن تعبيرات القرآن الكريم تارة يستعمل لفظ المفرد دون جمعه، وتارة أخرى يستعمل لفظ الجمع دون مفرده، ولو حاولنا التغيير والتبديل أو إحلال أحدهما محل الآخر ، فسد التعبير ، وذهبت حلاوته.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص ١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السماء والأرض:

لفظ (السماء والأرض)، نلاحظ أنه حيث ورد ذكر الأرض فإننا نجدها مفردة دائما، فيقال (أرض)، ولم تأت جمعا، ولذلك لم نجد في القرآن (أرضون) وحينما احتاج الأسلوب القرآني إلى جمعها قال :" الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن"(الطلاق من الآية ١٢) فأتى القرآن الكريم بثلاثة ألفاظ تدل على الجمع بدلا من (أرضون) - وهذا بخلاف لفظ (السماء) ، فقد ذكر في القرآن تارة بصيغة الجمع وأخرى بصيغة المفرد.

وهذه الظاهرة في الأسلوب القرآني قد لفتت نظر الجاحظ، فقال [١]:" وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها .... ولفظ القرآن الذي نزل عليه أنه إذا ذكر (سبع سموات) لم يقل :(الأرضين)، ألا تراه لا يجمع (الأرض) على (أرضين)، ولا (السمع) على (أسماع)".

فالجاحظ لاحظ هذه الظاهرة، ولم يعلل لها، لكن ابن القيم التمس لهذه الظاهرة العلة، وبين السبب ، فقال [٢]:" فإن قلت : لم جمعوا(السماء) فقالوا :(سموات)، وهلا راعوا فيها ما راعوا في الأرض، فإنها مقابلة فما الفرق بينهما ؟".

ويجيب على هذا السؤال فيقول : قيل بينهما فرقان : فرق لفظي ، وفرق معنوي:

فأما اللفظي فإنه لو جمعوا (أرضا) على قياس جموع التكسير لقالوا (أرض) كأفلس، أو أراض كأجمال ، أو (أروض) كفلوس، فاستثقلوا هذا اللفظ، إذ ليس فيه من الفصاحة والحسن والعذوبة ما في لفظ السموات وأنت تجد السمع ينبو عنه بقدر ما يستحسن لفظ السموات ، ولفظ السموات يلج في السمع بغير

---

(١) الجاحظ،البيان والتبين، تحقيق ، عبدالسلام هارون، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ١/٢٠.

(٢) بدائع الفوائد ٩٤/١ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استئذان لنصاعته وعذوبته، ولفظ (الأراضي) لا يأذن له السمع إلا على كره، ولهذا تفادوا من جمعه إذا أرادوه بثلاثة ألفاظ تدل على التعدد . كما قال تعالى :" خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن" كل هذا تفاديا من أن يقال :(أراض، أرض).

وأما الفرق المعنوي : فإن الأرض هي دار الدنيا التي بالإضافة إلى الآخرة كما يدخل الإنسان أصبعه في اليم ، والله تعالى لم يذكر الدنيا إلا مقللا لها، محقرا لشأنها.

وأما السموات فهي مقر ملائكة الرب تعالى، ومحل دار جزائه، ومهبط ملائكته ووحيه، ولكن متى يفرد لفظ (السماء) ومتى يجمع في أساليب القرآن؟

يحد ابن القيم لذلك السؤال جوابا، ويلتمس له سببا فيقول [1]:" إذا أريد الوصف الشامل للسموات - وهو بمعنى العلو والفوق - أفردوا ذلك بحسب ما يتصل به من الكلام والسياق، ويعبر عنها بلفظ الجمع إذا كان المقصود ذواتها - لا مجرد العلو والفوق".

ثم يأتي بالشواهد الكثيرة من القرآن الكريم ليؤكد ذلك ، فيقول:" فتأمل قوله تعالى:" أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا" (الملك ١٦من ١٧) كيف أفردت هنا؟ لما كان المراد الوصف الشامل والفوق المطلق، ولم يرد سماء معينة مخصوصة.

وكذا قوله تعالى :" وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء"(يونس من الآية ٦١) بخلاف قوله في (سبأ من الآية ٣) :" عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض"، فإن قبلها ذكر - سبحانه-

(١) بدائع الفوائد ٩٥/١ والتفسير القيم ٣٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سعة ملكة ومحله- وهو السموات كلها والأرض ، ولما لم يكن في سورة يونس ما يقتضي ذلك أفردها للجنس.

وتأمل كيف أتت مجموعة في قوله تعالى:" وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم"(الأنعام من الآية ٣) فإنها أتت مجموعة هنا لحكمة ظاهرة - وهي تعلق الظرف بما في اسمه تبارك وتعالى من معنى الألوهية، فالمعنى : وهو الأله المعبود في كل واحدة واحدة من السموات ففي كل واحدة من هذا الجنس هو المألوه المعبود، فذكر الجمع هنا أبلغ و أحسن من الاقتصار على لفظ الجنس الواحد".

وبناء على هذا الفهم الذي فهمه في الآية وبيان السر في المخالفة بين (السموات والأرض) في الإفراد والجمع يخطىء-ابن القيم- بعض المتسننة في الوقوف على لفظ (السموات). ثم يستأنف الكلام بعد ذلك ، فيقول - يقصد آية الأنعام السابقة- " ولما عزب هذا المعنى عن فهم بعض المتسننة فسر الآية بما لا يليق بها ، فقال : الوقف التام على (السموات) ثم يبتدىء بقوله :" وفي الأرض يعلم ...". وغلط في فهم الآية ، وإن معناها ما أخبرتك به ، وهو قول محققي أهل التفسير ثم يستأنف ابن القيم الاستشهاد بالآيات القرآنية ، فيقول:

" وتأمل كيف جاءت مفردة في قوله :" فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون" (الذاريات الآية ٢٣) إرادة لهذين الجنسين ، أي رب كل ما علا ، وكل ما سفل ، فلما كان المراد عموم ربوبيته أتى بالاسم بالشامل لكل ما يسمى سماء ، وكل ما يسمى أرضا.

وانظر كيف جاءت مجموعة في قوله :" يسبح لله ما في السموات وما في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرض" (الجمعة من الآية ١) في جميع السور[1]، لما كان المراد الإخبار عن تسبيح سكانها على كثرتهم وتباين مراتبهم ، لم يكن بد من جمع محلهم.

ونظير هذا جمعها في قوله :" وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون" (الأنبياء الاية ١٩). وكذلك جاءت في قوله :" تسبح له السموات السبع " (الإسراء من الآية ٤٤) مجموعة ، إخبارا بأنها تسبح له بذواتها وأنفسها على اختلاف عددها، وأكد هذا المعنى بوصفها بالعدد، ولم يقتصر على السموات فقط ،بل قال : السبع.

وانظر كيف جاءت مفردة في قوله تعالى :" وفي السماء رزقكم وما توعدون" (الذاريات الآية ٢٢) ، فالرزق : المطر، وما وعدنا به : الجنة ، وكلاهما في هذه الجهة، لا أنهما في كل واحدة واحدة من السموات ، فكان الإفراد أليق بها.

ثم تأمل كيف جاءت مجموعة في قوله :" قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله" (النمل من الآية ٦٥) لما كان المراد نفي علم الغيب عن كل من هو في واحدة واحدة من السموات أتى بها مجموعة .

وتأمل كيف لم يجيء في سياق الإخبار بنزول الماء منها إلا مفردة حيث وقعت، لما لم يكن المراد نزوله من ذات السماء بنفسها، بل المراد الوصف .

وبعد أن يصل إلى هذه النتائج الطيبة، ويكشف عن تلك الأسرار العظيمة، ويلتمس الأسباب لجمع لفظ (السموات) وإفرادها، يجد أن هناك آيتين من القرآن الكريم يبدو أنهما في المعنى سواء، لكن إحداهما جاءت فيهما السماء مفردة، وفي

---

(١) يقصد أوائل سور الحديد " يسبح لله ما في السموات والأرض" والحشر " سبح لله ما في السموات وما في الأرض" والصف مثلها، والتغابن " يسبح لله ما في السموات وما في الأرض".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثانية جاءت مجموعة. فالآية الأولى قوله تعالى :" قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر؟ " فسيقولون الله" (يونس من الآية ٣١). والآية الثانية:" قل من يرزقكم من السموات والأرض ، قل الله" (سبأ من الآية ٢٤) وقد التمس ابن القيم سببا لهذا الاختلاف ، وتوجيها لطيفا له ، فقال [١]:

" قيل هذا من أدق المواضع وأغمضها وألطفها فرقا، فتدبر الآيات تجده نقيضا لما وقع.

فإن الآيات التي في يونس سيقت مساق الاحتجاج عليهم بما أقروا به ، ولم يمكنهم إنكاره من كون الرب تعالى هو رازقهم ، ومالك أسماعهم وأبصارهم، ومدبر أمورهم، ومخرج الحي من الميت والميت من الحي، فلما كانوا مقرين بهذا كله حسن الاحتجاج به عليهم ... ولهذا قال بعدأن ذكر ذلك من شأنه تعالى:" فسيقولون الله" أي لا بد أنهم يقرون بذلك ولا يجحدونه. والمخاطبون المحتج عليهم بهذه الآية إنما كانوا مقرين بنزول الرزق من قبل هذه السماء التي يشاهدونها بالحس، ولم يكونوا مقرين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء حتى تنتهي إليهم، ولم يصل علمهم إلى هذا ، فأفردت لفظ (السماء) هنا، فإنهم لا يمكنهم إنكار مجيء الرزق منها .... فخوطبوا بما هو أقرب الأشياء إليهم ، بحيث لا يمكنهم إنكاره.

وأما الآية التي في سبأ: فلم ينتظم بها ذكر إقرارهم بما ينزل من السموات ولهذا أمر رسوله بأن يتولى الجواب فيها ، ولم يذكر عنهم أنهم المجيبون المقرون، فقال :" قل من يرزقكم من السموات والأرض، قل الله " ولم يقل : فسيقولون الله، فأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيب بأن ذلك هو الله وحده الذي

(١) بدائع الفوائد ٩٦/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السموات السبع".

الريح - والرياح.

وبعد أن ينتهي من الكشف عن الأسرار البلاغية لإفراد (السماء) وجمعها أضاف إلى ذلك ألفاظا إخرى وردت في آيات الذكر الحكيم تفرد وتجمع ، لأسباب بلاغية يتذوقها السامع عند البحث والدراسة منها (الريح والرياح) فيقول [1]: ومن هذا الباب ذكر (الرياح) في القرآن جمعا وفردا ، فحيث كانت في سياق الرحمة أتت مجموعة ، وحيث وقعت في سياق العذاب أتت مفردة.

وسر ذلك: أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهاب والمنافع ، وإذا هاجت منها ريح أنشىء لها ما يقابلها ، وما يكسر سورتها ، ويصدم حدتها، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات، فكل ريح منها في مقابلها ما يعدلها ، ويرد سورتها ، فكانت في الرحمة ريحا.

وأما في العذاب : فإنها تأتي من وجه واحد ، لا يقوم لها شيء ، ولا يعارضها غيرها ، حتى تنتهي إلى حيث أمرت، لا يرد سورتها، ولا يكسر شرتها، فتمتثل ما أمرت به، تصيب ما أرسلت عليه ، ولهذا وصف - سبحانه- الريح التي أرسلها على عاد بأنها عقيم ، فقال :" وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم "(الذاريات الآية ٤١) وهي التي لا تلقح ، ولا خير فيها ، والتي تعقم ما مرت عليه ".

وحينما نستقريء أساليب القرآن الكريم نلاحظ أن لفظ (الريح) يأتي مفردا وجمعا ، ولكل كلمة منها مقام ، فحيث ذكرت (الريح) في سياق الرحمة جاءت مجموعة ، كقوله تعالى : " الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا" (الروم من الآية ٤٨) " ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات " (الروم من الآية ٤٦) " وأرسلنا

(١) بدائع الفوائد ٩٧/١، ودرة الغواص ص ٧٩، وانظر أيضا مفتاح دار السعادة ص ٢١٩-٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرياح لواقح" (الحجر من الآية ٢٢) وحيث ذكرت في سياق العذاب أتت مفردة ، كقوله تعالى : " فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات"(فصلت من الآية ١٦) " فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها" (الأحزاب من الآية ٩) " وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية" (الحاقة الآية ٦) .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عباس: هاجت ريح أشفق منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلها ، وجثا على ركبتيه ومد يديه الى السماء ، ثم قال : " اللهم اجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا ، اللهم اجعلها رحمة ، ولا تجعلها عذابا "[1].

وقد اطردت هذه القاعدة إلا في آية واحدة في القرآن الكريم ، وهي قوله تعالى :" هو الذي يسيركم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها، جاءتها ريح عاصف "(يونس من الآية ٢٢).

فقد ذكر في الآية (ريح) الرحمة بالإفراد - بخلاف القاعدة - فقال :" بريح طيبة " فلماذا هذا الاختلاف ؟

يعلل ابن القيم لهذا الاختلاف في الآية تلك ، بقوله "[2] لأن تمام الرحمة هناك -يقصد في البحر- إنما تحصل بوحدة الريح، لا باختلافها ، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة، من وجه واحد سيرها، فإذا اختلفت عليها الرياح، وتصادمت وتقابلت، فهو سبب الهلاك، فالمطلوب هنا ريح واحدة لا رياح- وأكد هذا المعنى بوصفها بالطيب ، دفعا لتوهم أن تكون ريحا عاصفة ، بل هي مما يفرح بطيبها".

---

(١) انظر البرهان ٩/٤، السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن تقديم ، مصطفى البنا، ط١ دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٢م ٦١٤/١

(٢) بدائع الفوائد ٩٨/١ وانظر مفتاح السعادة ص٢١٩-٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحس بسروره الشديد لاهتدائه إلى هذه الأسرار، وتوفيقه في تلك التوجيهات، ووقوفه على تلك اللطائف ، ووقوعها في السمع موقع القبول، وعلى السامع موضع الرضا. فيقول :" فلينزه الفطن بصيرته في هذه الرياض المونقة المعجبة ، التي ترقص القلوب لها فرحا ، ويتغذى بها عن الطعام والشراب والحمد لله الفتاح العليم . فمثل هذا الفصل يعض عليه بالنواجذ، وتثنى عليه الخناصر ، فإنه يشرف بك على أسرار عجائب، تجتنيها من كلام الله ، والله الموفق للصواب.

وحق لابن القيم أن يفخر بما وفقه الله من التوصل إلى هذه اللطائف العجيبة، والطرائق الغريبة، والتي ينبغي أن ينزه الإنسان نظره فيها، ويمتع قلبه وعقله بالسماع إليها، أو قراءتها، كما يجب الحرص عليها ، إذ هي يعض عليه بالنواجذ وتثنى عليها الخناصر.

الظلمات، والنور- سبل الباطل ، وسبل الحق-الشمائل، واليمين.

وهناك ألفاظ أخرى تجمع وتفرد في آيات القرآن الكريم ، ولجمعها وإفرادها في مواضعها أسرار ولطائف يتذوقها السامع أو القارىء عند البحث، ، أو الإمعان في الدراسة. فتجمع كلمة (الظلمات)، وتفرد كلمة (النور) ، يقول تعالى:"الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" (الأنعام الآية ١) وتجمع (سبل الباطل) ويفرد (سبيل الحق)، يقول تعالى :" وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" (الأنعام من الآية ١٥٣).

وجمع الله تعالى جهة (الشمال) ، وأفرد جهة (اليمين) ، يقول تعالى :" أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمن والشمائل سجدا لله وهم داخرون" (النحل الآية ٤٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما السبب في جمع (الظلمات) وإفراد(النور) ، وجمع (سبل الباطل) وإفراد(سبيل الحق) وجمع (الشمائل) وإفراد (اليمين) في تلك الآيات الكريمة؟

يقول ابن ا لقيم في بيان تلك الأسباب :"[1] والجواب عنها يخرج من مشكاة واحدة، وسر ذلك – والله أعلم- أن طريق الحق واحد، كما قال تعالى :" هذا صراط علي مستقيم " (الحجر من الآية ٤١) قال مجاهد : الحق طريقه على الله ، ويرجع إليه، كما يقال طريقك علي ، ونظيره قوله :" وعلى الله قصد السبيل" (النحل من الآية ٩) في أصح القولين ، أي السبيل القصد الذي يوصل إلى الله ،وهي طريق عليه، قال الشاعر :

فهن المنايا أي واد سلكنه عليها طريقي ، أو على طريقها .

والمقصود : أن طريق الحق واحد ، إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متعددة ومتشعبة ، فإنها لا ترجع إلى شيء موجود ، ولا غاية لها يوصل إليها هي بمنزلة بنيات الطريق ، وطريق الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود ، فهي وإن تنوعت فأصلها طريق واحد. ولما كانت الظلمة بمنزلة طرق الباطل ، والنور بمنزلة طريق الحق، بل هما هما، أفرد النور ، وجمعت الظلمات ،وعلى هذا ، جاء قوله :" الله ولي الذين أمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياوهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات " (البقرة من الآية ٢٥٧). فوحد " ولي الذين أمنوا" وهو الله الواحد الأوحد، وجمع "أولياء الذين كفروا" لتعددهم وكثرتهم ، وجمع (الظلمات) وهي طرق الضلال والغي لكثرتها واختلافها، ووحد (النور) وهو دينه الحق، وطريقه المستقيم الذي لا طريق إليه سواه. ولما كانت(اليمين) جهة الخير والفلاح ، وأهلها هم الناجون، أفردت، ولما كانت(الشمال) جهة أهل الباطل، وهم أصحاب الشمال جمعت في قوله " عن اليمين والشمائل " (النحل من الآية ٤٨).

---

(١) بدائع الفوائد ٩٨/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك في آيات القرآن الكريم من ألفاظ (الشمال واليمين) ما خرج عن هذه القاعدة ، فأفردت لفظة (الشمال) في قوله تعالى في وصف مشهد من مشاهد القيامة:" وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال " (الواقعة الآية ٤١) وفي قوله تعالى :" ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد" (ق من الآية ١٦ ، ١٧).

وجمعت لفظ (اليمين) في قوله تعالى عن إبليس:" ثم لاتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم "(الأعراف من الآية ١٧).

فلماذا أفردت لفظة (الشمال) وجمعت لفظة (اليمين) في الآيات السابقة ، وما هي الأسرار التي دعت إلى هذا التغيير؟

يقول ابن القيم في الإجابة عن الآية الأولى [١]:" قيل جاءت (الشمال) مفردة لأن المراد أهل هذه الجهة ومصيرهم ومآلهم إلى جهة واحدة وهي جهة الشمال، فلا يحسن مجيئها مجموعة - لأن طرق الباطل وإن تعددت فغايتها المرد إلى طريق الجحيم وهي جهة الشمال ".

وعن الآية الثانية قال :" لما كان المراد أن لكل عبد قعيدا، قعيد عن يمينه وقعيدا عن شماله، يحصيان عليه الخير والشر، فلكل عبد من يختص بيمينه وشماله من الحفظة فلا معنى للجمع هنا"

وعن الآية الثالثة ، يقول :" الجمع هنا في مقابلة من يريد الشيطان إغواءهم فكأنه أقسم أن يأتي كل واحد واحد من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ولا يحسن هنا عن يمينهم وعن شمالهم، بل الجمع هنا في مقابلة الجملة بالجملة المقتضي توزيع الأفراد ، ونظيره " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق" (المائدة من الآية ٦).

---

(١) بدائع الفوائد ٩٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعدها ينتقل ابن القيم للحديث عن المشرق والمشرقين والمشارق في بعض الآيات القرآنية الكريمة ملتمسا أسباب التغيير في الأسلوب والتبديل بالعبارة ، باحثا عن الأسرار التي أدت لهذا التغيير ، والحكمة في تغاير هذه الآيات الكريمة[١].

وهكذا كان لتوجيه ابن القيم وحسن فقهه في الآيات آثار طيبة في استخراج تلك الأسرار العظيمة ، واللطائف البديعة ، وكان لحسه البلاغي، وتذوقه للألفاظ ، ومعرفته لسياق الآيات فضل كبير في استنباط تلك المعاني الغزيرة، والفوائد اللطيفة [٢].

بناء الجملة في القرآن الكريم :[٣]

تركيب الجملة القرآنية بناء أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير، وهيكل نسقت لبناته، ونظمت أدق تنظيم ، فلها من وسائل الترتيب، ووجوه التنظيم، والتركيب لحروفه، وتأليف كلماته ، وتنسيق كل جملة مع ما يجاورها مما يدهش العقول ، ويحير الألباب ، إذ هو أمر فوق الطبيعة البشرية والقدرة الإنسانية" وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين"(الحاقة الآية ٤١-٤٣)، لا ترى كلمة تنبو عن مكانها، أو تضيق بموضعها ، بل نرى اتساقا وائتلافا ولو حاول - أي مجاول - أن ينزع كلمة من مكانها، أو يبدلها بغيرها، أو يستغني عن حرف، أو يزيد شيئا عليها، ما ائتلف السياق، وما انتظم التركيب، ولاختل البناء، وذلك لأن التآخي في المعاني

---

(١) ومنعا للإطالة فإنني سوف أتجاوز هذه النقطة ، ومن أحب الإطلاع فلينظر في كتاب بدائع الفوائد ٩٩/١ وما بعدها .

(٢) يظهر هذا اكثر وأكثر عندما تناول ابن القيم موضوع التقديم والتأخير في القرآن الكريم، كتقديم السمع على البصر والسماء على الأرض وعكسه... أنظر بدائع الفوائد ٥١/١ وما بعدها والتفسير القيم ص ٦٥-٦٩، ٤٣٢، ٤٣٣...

(٣) ينظر ، بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، ١٠٧ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالتآخي في المباني.

نرى ذلك واضحا في تفسير ابن القيم ووقفاته المتأنية أمام بعض آيات القرآن الكريم، فقد وفق فيها كل التوفيق ، فآبان عن اللطائف في التركيب القرآني وكشف عن الأسرار المخبأة في طيات النظم ، والمخفية بين السطور ، فإلى الحديث عن بناء الجملة كما يراه ابن القيم.

"ولله على الناس حج البيت...."

يلاحظ الباحث أن هذه الآية التي ضمنها الله فريضة الحج قد جاءت في تركيب عجيب وبنيت بأسلوب فريد لم يؤلف إلا في هذه الشعيرة، فقد كان المألوف عند ذكر ما يفرضه الله على العباد أن يذكره بصريح مادة الأمر، فيقول :" إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" (النساء من الآية ٥٨). أو بصيغة فعل الأمر، فيقول :" حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" (البقرة من الآية ٢٣٨) أو بصريح مادة النهي، فيقول :" إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين، وأخرجوكم من دياركم، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم" (الممتحنة من الآية٩). أو بصيغة النهي، فيقول :" ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن "(الأنعام من الآية ١٥٢) أو بمادة الكتابة ، فيقول " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم " (البقرة من الآية ١٨٣). أو الإتيان بمادة التحريم فيقول :" حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم أخواتكم..." (النساء من الآية ٢٣). أو بنفي الحِل ، فيقول :" لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها" (النساء من الآية ١٩).

لكن ابن القيم يلاحظ أنه تعالى في هذه الفريضة أتى بهذا النظم العجيب مخالفا للصيغ السابقة، وفيه عدة وجوه تدل كلها على تأكيد هذا الفرض ولزومه في الذمة، ويكشف عما في الآية من لطائف وأسرار تختفي بين السطور، فيقول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في[1] قوله تعالى :" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين" (آل عمران الآية ٩٦ ,٩٧).

افتتح الله تعالى إيجاب هذه الفريضة بذكر محاسن البيت الحرام ، فعظم شأنه بما يدعو النفوس إلى قصده وحجه ، فوصفه بخمس صفات:

أولها : أنه أسبق بيوت العالم وضعا في الأرض.

ثانيها: أنه مبارك ، والبركة كثرة الخير ودوامه...

ثالثها: أنه هدى، ووصفه بالمصدر نفسه مبالغة، حتى كأنه الهدى نفسه.

رابعها: ما تضمنه من الآيات البينات التي تزيد على أربعين آية .

خامسها :الأمن لداخله، فهو الأمن لكل خائف ، وليس هذا لمكان آخر في الأرض..

وفي وصفه بهذه الصفات قبل إيجاب قصده، ما يبعث النفوس على حجه ، وإن شطت بالزائرين الديار ، وتناءت بهم الأقطار.

وفي استهلال هذه الآية بإعلان هذه الصفات الخاصة بالبيت اعتناء منه سبحانه به وتنويه بذكره، وتعظيم لشأنه، ورفعة من قدره، ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله:"وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود" (الحج من الآية ٢٦) لكفى بهذه الإضافة تشريفا وتفضيلا .

هذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه ، وجلبت نفوسهم حبا له وشوقا إلى رؤيته، فهو المثابة للمحبين، يثوبون إليه ولا يقضون منه وطرا، وكلما ازدادوا له زيارة، ازدادوا له حبا، وإليه اشتياقا ، فلا الوصال يشفيهم ولا

(١) بدائع الفوائد ٢/٢٢٠-٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البعد يسليهم.

أطوفُ به والنفسُ بعد مشوقةٌ إليه ، وهل بعد الطوافِ تدان؟
وألثم منه الركن أطلبُ برد ما بقلبي، من شوقٍ ومن هَيَمانِ
فـــوالله ما أزدادُ إلا صبابـــةً ولا القلب إلا كثـرةَ الخَفَقَان

وبعد أن انتهى ابن القيم من استشفاف محاسن البيت الحرام من بداية الآية الكريمة ، والسبب الذي من أجله استهل الآية بهذه الصفات الخمسة، اتجه إلى البحث في بناء الجملة، وكيف بنيت هذا البناءالعجيب، البناء الذي يدل على تأكيد هذا الغرض من عدة وجوه ، فيقول : " وبعد ذكر هذه الصفات الخمسة أوجب الله هذه الشعيرة بهذا النظم العجيب ، بتركيب لم يؤلف إلا في هذه الفريضة، ولم يعرف إلا في هذه السورة ، فقد كان المألوف عند ذكر ما يوجبه أن يذكره بلفظ الأمر، أو النهي، وهوالأكثر، أو بلفظ الأيجاب أو الكتابة ، أو التحريم كقوله تعالى:" كتب عليكم الصيام " (البقرة من الاية ١٨٣) ، " حرمت عليكم الميتة " (المائدة من الآية ٣) " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم"(الأنعام من الآية ١٥١).

وفي الحج خالف هذا وأتى بهذا النظم الدال على تأكيد الوجوب من أوجه: أنه قدم اسمه تعالى ،وأدخل عليه لام الاستحقاق والاختصاص، فقال "ولله" ثم ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم الداخلة عليها حرف " على" فقال :" على الناس ثم أبدل منه أهل الاستطاعة، فقال " من استطاع". وفي هذا التعبير نوعان من التأكيد، أحدهما: أن الأبدال فيه تثنية للمراد، وتكرير له، والثاني: أنه أوجب هذا الإيجاب في صورتين، إحداهما مجملة، والأخرى مفصلة.

ثم نكر"السبيل" في سياق الشرط، فقال :" من استطاع إليه سبيلا" وذلك إيذان بأنه يجب الحج على أي سبيل تيسرت ، فحصل الوجوب بحصول ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسمى"سبيلا" . ثم إتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر، فقا ل" ومن كفر" بدلا من"ومن ترك" إيذانا بشدة الحرص على هذه الشعيرة.

ثم عظم الشأن ، وأكد الوعيد بإخباره باستغنائه عنه، فقال :" فإنّ الله لغني عن العالمين "، فالله غني لاحاجة به إلى حج أحد ، وفي ذكر لفظ "الاستغناء" ما يفيد الإعلام بمقته له، وسخطه عليه، وإعراضه بوجهه عنه ، وهذا من أعظم التهديد وأبلغه.

ثم أكد ذلك بذكر" العالمين " عموما ، ولم يقل :" فإن الله غني عنه" لأنه إذا كان غنيا عن العالمين كلهم، فله الغنى الكامل التام من كل وجه عن كل أحد.

ثم أكد هذا المعنى بأداة التأكيد" إن" مما يدل على تأكيد هذا الغرض العظيم وفي البدل في هذه الآية سر لطيف يؤكد هذه الشعيرة الدينية، فـ(من) بدل من"الناس" والبدل يقتضي ذكر الإسناد مرتين : مرة بإسناده إلى عموم الناس، ومرة بإسناده إلى خصوص المستطيعين، وفي هذا التعبير تقوية للمعنى، وتأكيد للمضمون. كما أن في هذا التعبير إيضاحا بعد إيهام ، وتفصيلا بعد إجمال، فقد تضمنت إيراد الكلام على صورتين ، اعتناء به وتأكيدا لشأنه. ثم إن في تقديم الخبر- وهو الجار والمجرور- " ولله على الناس" على المبتدأ "حج البيت" ما يثير التساؤل ، أي المجرورين هو الخبر ، وما الذي يقتضيه المعنى؟

الذي يقتضيه المعنى ، ويطلبه المقام، أن يكون "على الناس" هو الخبر لأنه وجوب ، والوجوب يقتضي "على" ويرجح هذا أنه يقال :" حج البيت على الناس" وهو أكثر استعمالا في باب الوجوب ، من أن يقال :" حج البيت لله" أي حق واجب لله. ويجوز أن يكون "لله" هو الخبر، لأنه يتضمن الوجوب والاستحقاق ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرجح هذا التقدير أن الخبر محط الفائدة وموضعها. إلا أن في تقديم المجرور الأول "لله"وليس بخبر فائدتين:

إحداهما : أنه اسم للموجب للحج ، فكان أحق بالتقديم من ذكر الوجوب، وقد تضمنت الآية ثلاثة أمور مرتبة بحسب الوقائع:

الأول: الموجب لهذا الفرض ، فبدىء بذكره، فقيل :"ولله"

الثاني: مؤدي الواجب، وهو المفترض عليه-وهم الناس- فقيل:"على الناس"

الثالث: الحق المتعلق به ايجابا، وبهم وجوبا وأداء، وهو الحج- فقال:"حج البيت".

الفائدة الثانية: أن الاسم المجرور من حيث كان"لله" وجب الاهتمام بتقديمه تعظيما لحرمة هذا الواجب ، وتخويفا من تضييعه ، إذ ليس ما أوجبه الله تعالى بمثابة ما أوجبه غيره.

و "من استطاع" بدل وقد استهوى طائفة من الناس القول بأن " من استطاع" فاعل للمصدر " حج البيت"، وكأنه قال :" يحج البيت من استطاع اليه سبيلا" وهذا القول يأباه المعنى من وجوه ، منها :

أن الحج فرض عين ، ولو كان معنى الآية ما ذكر، لأفهم فرض الكفاية، لأنه إذا حج المستطيعون برئت ذمم غيرهم، لأن المعنى يؤول إلى"ولله على الناس أن يحج البيت مستطيعهم فإذا أدى المستطيعون الواجب لم يبق واجبا على غير المستطيعين، وليس المعنى كذلك. بل الحج فرض عين على كل أحد، حج المستطيعون أو قعدوا، لكن الله -سبحانه- عذر غير المستطيع بعجزه عن أداء الواجب، فلا يؤاخذه به، ولا يطالبه بأدائه، فإذا حج أسقط الفرض عن نفسه، وليس حج المستطيعين بمسقط للفرض عن العاجزين .

وأما الجار والمجرور " إليه" في قوله تعالى:" من استطاع إليه سبيلا" فيحتمل أوجها منها:

١. أن يكون في موضع الحال من " سبيل" فهو نعت ، قدم على النكرة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصار حالا.

٢. أو يكون متعلقا بـ"سبيلا" على أن يكون المراد منه، الموصل إلى بيت الله من قوت وزاد ونحوهما، فهو على هذا فيه رائحة الفعل، ولم يقصد بـ"السبيل" الطريق، ومن هنا صلح تعلق الجار والمجرور به .

واقتضى حسن النظم ، وإعجاز اللفظ ، تقديم الجار والمجرور، وإن كان موضعه التأخير، لأن فيه ضميرا يعود إلى البيت، وهو المقصود بالاعتناء، وهم يقدمون في كلامهم ما به أهم ، وببيانه أعنى.

٣. أو يتعلق بالوجوب المفهوم من قوله :"على الناس".

فنجد ابن القيم يكشف عما في الآية من وجوه الحسن في النظم، وجودة الترتيب، والدقة في التعبير، ويبرز عما في هذا التركيب من طرق التوكيد التي صاحبت هذه الفريضة بذاتها دون سواها، حتى إن فرضيتها وردت بصيغة أخرى لم تؤلف في فريضة من الفرائض إلا في هذه الشعيرة، مما يدل على امتيازها عن غيرها.

وهو في هذا كله أحسبه أنه سابق على غيره، مما يدل على حس لغوي مرهف وذوق بلاغي عال، ودقة في الفهم فاق به سواه.

خطاب الله تعالى للمؤمنين:

لا شك أن خطاب الله لعباده أو لأنبيائه في القمة، رقيا في الأسلوب، ولطفا في التركيب ، ولينا في التعبير، وهذا نموذج منه .

يرغب الله تعالى المؤمنين في بذل المال للمستضعفين من عباده، فيعبر عن هذا الأمر بأحسن أنواع الطلب، ويتخير له أرقى أسلوب في الترغيب، فيقول :

"من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا، فيضاعفه له أضعافا كثيرة، والله

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقبض ويبسط وإليه ترجعون"(البقرة الآية ٢٤٥). ويقول: " من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا، فيضاعفه له، وله أجر كريم" (الحديد الآية١١).

وقد أعمل ابن القيم حسه البلاغي في تلك الآية ، ووضع يدنا على ما في هذا التركيب من أنواع اللطف في الخطاب ، وأرقى أساليب الترغيب ، فقال [١]:

"صدر-سبحانه- الآية بألطف أنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن معنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر، والمعنى: هل أحد يبذل هذا القرض الحسن، فيجازى عليه أضعافا مضاعفة؟

وسمى ذلك الإنفاق قرضا حسنا حثا للنفوس ، وبعثا لها على البذل ، لأن الباذل متى علم أن عين ما له يعود إليه ولا بد، طوعت له نفسه، وسهل عليه إخراجه.

فإن علم أن المستقرض مليء وفي محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه فأن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه، وينميه له ، ويثمره، حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح.

فإن علم أنه مع ذلك كله يزيد من فضله وعطائه أجرا آخر من غير جنس القرض، فإن ذلك الأجر حظ عظيم، وعطاء كريم ، فلا يتخلف عن قرضه ذلك إلا لآفة في نفسه من البخل والشح، أو عدم الثقة بالضمان ، وذلك من ضعف إيمانه ، ولذلك كانت الصدقة برهانا لصاحبها.

وقد سماه قرضا، وأخبر أنه هو المقترض لا قرض حاجة، ولكن قرض إحسان إلى المقرض واستدعاء لمعاملته، وليعرف مقدار الربح ، فهو الذي أعطاه ماله واستدعى منه معاملته به ثم أخبر عما يرجع إليه القرض، وهو الأضعاف

(١) التفسير القيم، ص١٤٨. ١٤٩، ابن القيم،طريق الهجرتين الطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٥٧هـ - ٤٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المضاعفة.

ثم أخبر عما يعطيه فوق ذلك من الزيادة، وهو الأجر الكريم. وحيث جاء القرض في القرآن الكريم قيده بكونه حسنا، وذلك يجمع أمورا ثلاثة:

أحدها: أن يكون من طيب ماله، لا من رديئة وخبيثه.

الثاني: أن يخرجه طيبة به نفسه، طالبة عند بذله ابتغاء مرضاة الله.

الثالث: ألا يمن به ولا يؤذي.

فالاول: يتعلق بالمال ، والثاني يتعلق بالمنفق بينه وبين الله، والثالث : بينه وبين الآخذ".

وهذه الأمور كلها تحت هذه الألفاظ التي تضمنتها الآية!

فما ألين خطاب الله لأوليائه، وماأرق تعبيره لأحبائه!

ولكم في القصاص حياة :

يشرع الله تعالى للمسلمين، وينظم لهم الحكم العادل عندما يعتدي إنسان على آخر ، ويتجاوز حدود الشريعة والقانون، فيقول:"ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون" (البقرة ١٧٩)، وقد أشبع العلماء هذه الآية شرحا وتوضيحا، وبيان ما فيها من بلاغة وما تضمنته من إعجاز، وكان ابن القيم من العلماء الذين تناولوا هذه الآية بالشرح والبيان، فقال :[1]" في ضمن هذا الخطاب، ما هو كالجواب لسؤال مقدر إن في إعدام هذه البنية الشريفة، وإيلام هذه النفس وإعدامها في مقابلة إعدام المقتول تكثير لمفسدة القتل ، فلأية حكمة صدر هذا ممن وسعت رحمته كل شيء ، وبهرت حكمته العقول؟ فتضمن الخطاب جواب ذلك بقوله:" ولكم في القصاص حياة". وذلك لأن القاتل إذا توهم أنه يقتل قصاصا بمن قتله، كف عن القتل ، وارتدع وآثر حب حياته ونفسه، فكان فيه حياة له، ولمن أراد قتله.

---

(١) التفسير القيم ١٤٣، وأفاض في هذه المسألة في مفتاح دار السعادةومنشور ولاية العلم والإرادة، صححه وعلق عليه محمود حسن ربيع مكتبة الازهر، مصر ط٢، ١٩٣٩ ص ٤٣١-٤٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن وجه آخر ، وهو أنهم كانوا إذا قتل الرجل من عشيرتهم وقبيلتهم، قتلوا به كل من وجدوه من عشيره القاتل ، وحيه ، وقبيلته، وكان ذلك من الفساد والهلاك ما يعم ضرره، وتشتد مؤونته، فشرع الله تعالى القصاص، وألا يقتل بالمقتول غير قاتله، ففي ذلك حياة عشيرته، وحيه ، وأقاربه، ولم تكن الحياة في القصاص من حيث أنه قتل ، بل من حيث كونه قصاصا، يؤخذ القاتل وحده بالمقتول لا غير ، فتضمن (القصاص) الحياة في الوجهين.

وتأمل ما تحت هذه الألفاظ الشريفة من الجلال والإيجاز، والبلاغة والفصاحة والمعنى العظيم. فصدر الآية بقوله :" ولكم" المؤذن بأن منفعة القصاص مختصة بكم، عائدة إليكم، فشرعه إنما كان رحمة بكم وإحسانا إليكم.

ثم عقبه بقوله :" في القصاص" إيذانا بأن الحياة الحاصلة إنما هي في العدل، وهو أن يفعل به كما فعل بالمقتول .

"والقصاص" في اللغة: المماثلة، وحقيقته راجعه في الاتباع و منه قوله تعالى:" وقالت لأخته قصيه" (القصص من الآية ١١) أي أتبعي أثره، ومنه قوله :" فارتدا على آثارهما قصصا"(الكهف من الآية ٦٤) أي يقصان الأثر، ويتبعانه، ومنه : قص الحديث واقتصاصه، لأنه يتبع بعضه بعضا في الذكر، فسمي جزاء الجاني قصاصا، لأنه يتبع أثره، فيفعل به كما فعل ، وهذا أحد ما يستدل به على أن يفعل بالجاني كما فعل ، فيقتل بمثل من قتل به ، لتحقيق معنى القصاص".

فابن القيم أدلى بدلوه بين الدلاء، وبين ما في الآية من المعنى الجليل في هذا اللفظ الموجز البليغ ، وصدق الله العظيم " صنع الله الذي أتقن كل شيء".

وقد أكثر العلماء[1] في المفاضلة بين هذه الآية وقول بعض العرب : "القتل أنفى للقتل " وخرجوا من هذه المفاضلة بأن النص القرآني يفضل قولهم بأمور

(١) انظر على سبيل المثال : محمد بن علي الجرجاني (٧٢٩هـ) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ت: عبدالقادر حسين ، دار نهضة مصر، القاهرة، ص١٤٦، وانظر جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، شرح: محمد دويدري، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٠٩، وفخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز ، تحقيق د. ابراهيم السامرائي ود. محمد أبو علي ، دار الفكر عمان، ١٧٦ – ١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عديدة مخض ابن القيم زبدتها واستخرج ثمرتها[١].

التمثيل :

من المتفق عليه عند علماء البلاغة والنقد أن المعاني المجردة أضعف وسائل التعبير ، لأنها تؤدي معاني عابرة، لا تعلق في النفس كثيرا، ولا تثير في الشخص حركة أو انفعالا، أما الطرق التي تثير الشخص، وتثبت المعنى في النفس، وتقره في الذهن، فهي التي تحدد المعنى في صورة، وتقرنه بمثال .

وقد قال ابن القيم عن فائدة ضرب الأمثال ، بعد أن تحدث عن بعض الأمثال التي ضربها الله ورسوله :"[٢]فهذه الأمثال التي ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقريب المراد، وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع ، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به ، فإنه قد يكون أقرب إلى تعلقه وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره ، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام.... وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه..."

فالمعاني المجردة حينما تشبه بشيء محسوس ، يجعل له وقعا في القلب، ورسوخا في النفس، حيث تستخدم النفس أكثر من وسيلة لتوضيح المعنى، فبعد أن كانت النفس تكتفي في إدراك المعنى المجرد بالعقل وحده، أصبحت تحتاج إلى إضافة الخيال إليه، واستخدام أكثر من وسيلة في التوضيح من شأنه أن يزيد المعنى ثباتا ورسوخا.

---

(١) وابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) أعلام الموقعين، ١/١٨٢، ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"والتشبيه في التعبير أشبه بوسائل الإيضاح ، ونماذج الدرس التي تسبق الشرح فتذلل ما عسى أن يكون من عسر في الفهم ، وتثبت معانيها في الذهن، هذا إلى خلابة البيان التي تنبعث منه انبعاث السحر، فتفعل فعلها العجيب في النفوس ".[1]

ابن القيم وأمثال القرآن:

بحث ابن القيم في أمثال القرآن بحثا مستفيضا في كتابيه" الأمثال في القرآن الكريم" و " إعلام الموقعين"، وقد كان الغرض من بحثه هذا إعلام الموقعين والمجتهدين والفقهاء بأصل من أصول الشريعة، - وهو القياس- وبيان أنه لا يستغني عنه أحد العلماء والأئمة المجتهدين بدليل قول عمر - رضي الله عنه- لأبي موسى الأشعري[2]:" ثم الفهم الفهم، فيما أدلى إليك، مما ورد عليك مما ليس في قرآن، ولا في سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك ، واعرف الأمثال ، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق"

ثم بين ابن القيم أن الله تعالى استخدم القياس في القرآن بطريقة ضرب الأمثال ،فقال [3]:"وقد أرشد الله تعالى عباده إليه في غير موضع من كتابه، فقاس النشأة الثانية على النشأة الأولى في الإمكان، وجعل النشأة الأولى أصلا، والثانية فرعا عليها، وقاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها بالنبات، وقاس الخلق الجديد الذي أنكره أعداؤه على خلق السموات والأرض ، وجعله من قياس الأولى ، وقاس الحياة بعد الموت على اليقظة بعد النوم. وضرب الأمثال ، وصرفها في الأنواع المختلفة، وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من

---

(١) علي الجندي، فن التشبيه، القاهره، ١٣٨٦هـ ، ٤٨/١.

(٢) إعلام الموقعين ١٠١/١، وللاستزادة انظر إعلام الموقعين ٦٨/١ وما بعدها.

(٣) إعلام الموقعين ١٠١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الممثل به ، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلا، تتضمن تشبيه الشيء بنظيره ، والتسويه بينهما في الحكم".

وأمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون، وكان بعض السلف يبكي إذا قرأ مثلا لم يفهمه ، ويقول " لست من العالمين"[1] ، ويضرب الله الأمثال لعباده ليدلهم على صحة ما أخبر به، وأن أهل العلم هم المنتفعون بها المختصون بعلمها، وهذا من فضل العلم والعلماء.

ومن خلال توضيح ابن القيم لأنواع القياس تطرق في البحث إلى بلاغة الأمثال في القرآن ، ،وقوتها في البيان، ومالها من أثر في توضيح المعنى، وقوة الحجة .

وتلك بعض الأمثال التي طرقها ابن القيم ، وقد بلغ حسه البلاغي فيها مبلغا عظيما ، فكشف لنا عن بلاغتها ، وحسن بيانها ، وجمال تأثيرها، بطريقته التي عرفناها عنه، تقص في البحث ، وعمق في الإدراك والفهم.

ا. :مثلهم كمثل الذي استوقد نارا":

" مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله، ذهب الله بنورهم، وتركهم في ظلمات لا يبصرون، صم بكم ، عمي، فهم لا يرجعون" (البقرة الآية ١٧ . ١٨)

يقول ابن القيم [2]:" شبه -سبحانه- أعداءه المنافقين، بقوم أوقدوا نارا لتضيء لهم، وينتفعوا بها، فلما أضاءت لهم النار، فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم

---

(١) مفتاح دار السعادة ص٥٥.

(٢) التفسير القيم ص ١١٤-١٢٧، إعلام الموقعين ١/١١٦، ابن القيم ، الأمثال في القرآن الكريم. تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب،ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت لبنان، ١٩٨٣، ١٧٤-١٧٧، وانظر الفوائد المشوق، ٢٣٠ . ٢٧٣ .ابن القيم لجتماع الجيوش الاسلامية ، تحقيق أبي حفص سيد ابن ابراهيم بن عمران دار الحديث، القاهرة ١٩٩١ ص ١٩-٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما يضرهم، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين، طفئت عنهم تلك الأنوار، وبقوا في الظلمات لا يبصرون ، قد سدت عليهم أبواب الهدى الثلاث، فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب، مما يسمعه بأذنه، ويراه بعينه، ويعقله بقلبه، وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى، فلا تسمع قلوبهم شيئا، ولا تبصره، ولا تعقل ما ينفعها."

وبعد أن بين ابن القيم معنى المثل، أتبع ذلك بحث جزيئاته، وتركيب كلماته، وتساءل عن السبب في إن كان التعبير، :" هكذا-دون غيره- والحكمة في وضع الكلمة تلك – دون غيرها، فيقول: " وقال في صفتهم :" فهم لا يرجعون" لأنهم قد رأوا في ضوء النار ،وأبصروا الهدى، فلما أطفئت عنهم، لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا.

وقال سبحانه:" ذهب الله بنورهم، ولم يقل :" ذهب نورهم" وفيه سر بديع، وهوانقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى، فإن الله تعالى مع المؤمنين" إن الله مع الصابرين"(البقرة من الآية ١٥٣) " إن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون" (النحل الآية ١٢٨) فذهاب الله بذلك النور هو انقطاع المعية التي خص بها أولياءه، فقطعها بينه وبين المنافقين ، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ، ولا معهم ، فليس لهم نصيب من قوله: " لا تحزن إن الله معنا" (التوبة من الآية ٤٠)، ولا من " كلا إن معي ربي سيهدين "(الشعراء من الآية ٦١) وقال : "ذهب الله بنورهم " ولم يقل " بنارهم" ليطابق أول الآية ، لأن النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيها من الإضاءة والإشراق، وأبقى عليهم ما فيها من الأذى والإحراق.

وكذلك حال المنافقين ، ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في قلوبهم حرارة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم ، وقلوبهم قد صليت بحرها وأذاها، وسمومها ووهجها في الدنيا ، فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة نارا مؤصدة، تطلع على الأفئدة.

فالمنافق عرف ثم أنكر، وأقر ثم جحد ، فهو في ظلمات- أصم أبكم أعمى- كما قال الله تعالى في حق إخوانهم من الكفار:" والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات "(الأنعام من الآية ٣٩). وقال تعالى:" ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي ، فهم لا يعقلون"(البقرة الاية ١٧١).

وقال :" بنورهم" ولم يقل :" بضوئهم" - مع قوله :" فلما أضاءت ما حوله" لأن الضوء هو زيادة في النور، فلو قال : ذهب الله بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة فقط- دون الأصل- فلما كان النورأصل الضوء ، كان الذهاب به ذهابا بالشيء وزيادته.

وأيضا فإن الله تعالى سمى كتابه نورا، ورسوله نورا، ودينه نورا، ومن أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه -سبحانه- بنورهم ذهاب بهذا كله .

وتأمل قوله تعالي :" أضاءت ما حوله" كيف جعل ضوءها خارجا عنه منفصلا ؟ ولو اتصل ضوؤها به، ولابسه ، لم يذهب ، ولكنه كان ضوء مجاورة، لا ملابسة ومخالطة، وكان الضوء عارضا والظلمة أصلية، فرجع الضوء إلى معدنه وبقيت الظلمة في معدنها، فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به.

وتأمل مطابقة هذا المثل لما تقدمه من قوله :" أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين" (البقرة الآية ١٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كيف طابق بين هذه التجارة الخاسرة التي تضمنت حصول الضلالة والرضى بها، وبذل الهدى في مقابلتها، وحصول الظلمات التي هي الضلالة والرضى بها، بدلا من النور الذي هو الهدى والنور، فبذلوا الهدى والنور ، وتعوضوا عنه الظلمة والضلالة ، فيالها من تجارة ما أخسرها ! وصفقة ما أشد غبنها!

وتأمل كيف قال الله تعالى:" ذهب الله بنورهم " فوحده ، ثم قال :" وتركهم في ظلمات لا يبصرون" فجمعها ؟ فإن الحق واحد - وهو صراط الله المستقيم، الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ...، بخلاف طرق الباطل فإنها متشعبة و متعددة، ولهذا يفرد الله - سبحانه- الحق ، ويجمع الباطل ، كقوله تعالى :" الله ولي الذين أمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات" (البقرة من الآية ٢٥٧).

وقال تعالى:" وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" (الأنعام من ١٥٣) فجمع سبيل الباطل ، ووحد سبيل الحق .

ولا يناقض هذا قوله تعالى:" يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام" (المائدة من الآية ١٦) فإن تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد ، وصراطه المستقيم .

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا مستقيما ، وقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، وقال : هذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ قوله تعالى :" وأن هذا صراطي مستقيما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاتبعوه - إلى آخر الآية" .

والعلم [1] يدخل من ثلاثة أبواب : من سمعه ، وبصره ، وقلبه و وقد سدت عليهم هذه الأبواب الثلاثة، فسد السمع بالصم، والبصر العمى ، والقلب بالبكم، إذ(البكم) نوعان : بكم القلب ، وبكم اللسان، كما أن النطق نطقان: نطق القلب، ونطق اللسان ، وأشدها بكم القلب، كما أن عماه وصممه أشد من عمى العين، وصمم الآذان.

ونظير ذلك قوله تعالى :" لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها" (الأعراف من الآية ١٧٩)

وقد جمع الله - سبحانه- بين الثلاثة في قوله :" وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء، إذ كانوا يجحدون بآيات الله" (الأحقاف من الآية ٢٦).

فإذا أراد الله - سبحانه - هداية عبد فتح قلبه وسمعه وبصره، وإذا أراد ضلالة أصمه ، وأعماه، وأبكمه".

٣. " فمثله كمثل الكلب":

يشبه الله تعالى عالما من بني اسرائيل ، أعطاه الله آياته، لكنه انسلخ منها، يشبهه بالكلب في دناءته وخسته ، فيقول :

---

(١) انظر ابن القيم ، شفاء العليل ، مكتبة دار التراث القاهرة ، تحرير الحساني حسن عبدالله، ص٢٠٣-٢٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض، واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب، إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" (الأعراف ١٧٥، ١٧٦) يقول ابن القيم في هذا التمثيل :[١]

" شبه - سبحانه- من أتاه كتابه، وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به، واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخره، والمخلوق على الخالق، بالكلب الذي هو من أخس الحيوانات وأوضعها قدرا،وأخسها نفسا، وهمته لا تتعدى بطنه، ومن حرصه: أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم، ويستروح حرصا وشرها، ولا يزال يشم دبره دون سائر جسمه وإذا رميت بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمه ....

وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه، بالكلب في حال لهثه ، سر بديع وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته، واتباعه هواه ، إنما كان لشدة لهفه على الدنيا، لا نقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة ، فهو شديد اللهف عليها ، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال ازعاجه وتركه، و(اللهف واللهث) شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى.

وبعد أن يقرر هذا التمثيل، ويبين الهدف منه ، ويعود إلى تركيب الآية، ومفرداتها ، فيستخرج منها ما تخفيه بين سطورها من الأسرار والمعاني، وما تخبئه تحت ألفاظها ، من اللطائف والحكم ، فيقول :

---

(١) التفسير القيم ص ٢٨٠-٢٨٥، إعلام الموقعين ١/١٢٧-١٣٠. الأمثال في القرآن الكريم ٢١٤-٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وتأمل ما في هذا المثل من الحكم والمعاني فمنها:" قوله " آتيناه آياتنا" فأخبر - سبحانه- أنه هو الذي آتاه آياته، فإنها نعمة ، والله هو الذي أنعم بها عليه، فأضافها إلى نفسه، ثم قال :" فانسلخ منها" أي خرج منها ، كماتنسلخ الحية من جلدها، وفارقها فراق الجلد يسلخ عن اللحم، ولم يقل :" فسلخناه منها" لأنه هو الذي تسبب إلى أنسلاخه منها باتباعه هواه. ومنه قوله سبحانه :" فاتبعه الشيطان" [1] أي لحقه وأدركه ، كما قاله في قوم فرعون :" فاتبعوهم مشرقين"(الشعراء الآية ٦٠) وكان محفوظا محروسا بآيات الله ، محمي الجانب بها من الشيطان لا ينال منه شيئا إلا على غرة وخطفة، فما انسلخ من آيات الله ، ظفر الأسد بفريسته فكان من الغاوين العاملين بخلاف علمهم الذين يعرفون الحق ويعملون خلافه، كعلماء السوء. ومنها ، أنه سبحانه قال :" لو شئنا لرفعناه بها" فأخبر - سبحانه- أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم - فإن هذا كان من العلماء - إنما هي بإتباع الحق وإيثاره ، وقصد مرضاة الله ، فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه، ولم يرفعه الله بعلمه، ولم ينفعه به ...

٣. "أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا":

يربي الله تعالى المؤمنين على المحبة والتصافي بينهم وبين بعضهم، فينفرهم من بعض الصفات المذمومة- ومنها الغيبة- فيقول :" يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا، فكرهتموه، واتقوا الله ، إن الله تواب رحيم " (الحجرات الآية ١٢).

---

(١) انظر ابن القيم ، الفوائد، الطبعة الأخيره ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٨٨، ١٠٤، ومفتاح دار السعادة ص١٠٠، ١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول ابن القيم في بيان بلاغة هذا التنفير من الغيبة [1]: " وهذا من أحسن القياس التمثيلي ، فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت.

ولما كان المغتاب عاجزا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبا عن ذمه، كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه، ولا يستطيع أن يدفعه عن نفسه .

ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر، فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن، كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه ، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه.

ولما كان المغتاب متمتعا بعرض أخيه متفكها بغيبته وذمه متحليا بذلك شبه بآكل لحم أخيه ميتا، ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله، كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه.

ثم يختم كلامه بمطالبة السامع والقاريء أن يشاركه الإحساس بحسن موقع هذا التمثيل، ومطابقة المعقول فيه المحسوس ، فيقول :

" فتأمل هذا التشبيه والتمثيل، وحسن موقعه ، ومطابقة المعقول فيه للمحسوس، وتأمل إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتا، ووصفهم بذلك في آخر الآية، والإنكار عليهم في أولها أن يحب أحدهم ذلك،فكما أن هذا مكروه في طباعهم، فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؟ فاحتج عليه بما كرهوه على ما أحبوه، وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم ، وهو أشد شيء نفرة عنه، فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره

(١) التفسير القيم ص ٤٤١-٤٤٢، الأمثال في القرآن ص ٢٢٤-٢٢٦، إعلام الموقعين ١/١٣٠-١٣٣ وانظر الفوائد المشوق ص ١٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومشبهه.

٤. "كأنهم حمر مستنفرة":

ويصف الله تعالى نفور الكفار من هداية الله تعالى التي فيها حياتهم وسعادتهم، بنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها، فيقول :" فما لهم عن التذكرة معرضين، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة" (المدثر الآية ٤٩-٥١).

يبين ابن القيم بلاغة هذا التمثيل ، وما ينطوي تحت كلماته من معنى ، فيقول[1]:" شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد أو الرماة، ففرت منه، وهذا من بديع القياس والتمثيل ، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر ، وهي لا تعقل شيئا ، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور.

وهذا غاية الذم لهؤلاء ، فإنهم نفروا من الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم، كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها. وتحت "المستنفرة" معنى أبلغ من"النافرة" فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضا ، وحضه على النفور، فإن في الاستفعال من الطلب قدرا زائدا على الفعل المجرد، كأنها تواصت بالنفور، وتواطأت عليه.

ومن قرأها بالفتح (بفتح الفاء) : فالمعنى : أن القسورة استنفرها ، وحملها على النفور ببأسه وشدته."

٥. " كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ":

يبين الله تعالى مقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض ، فيقول :" مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" (البقرة الآية٢٦١).

يقول ابن القيم في هذه الآية :"[2] شبه سبحانه نفقة المنفق في سبيله سواء

---

(١) الأمثال في القرآن ، ص٢١٢-٢١٣، إعلام الموقعين ١/١٢٦-١٢٧، التفسير القيم ص٥٠٣.

(٢) إعلام الموقعين ١/١٤١، الأمثال في القرآن ص ٢٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير من كل بر بذر بذرا فأنبتت كل حبة سبع سنابل، اشتملت كل سنبلة على مائة حبة، والله يضاعف بحسب حال المنفق وإيمانه وأخلاصه ،وإحسانه...)

ويقول ابن القيم في بيان بلاغة هذا المثل ، وحسن موقعه في النفوس:[1]"هذه الآية كأنها كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضافعها للمقرض ومثله – سبحانه– بهذا المثل إختصارا لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض فأنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف لبصيرته ، كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة، فينضاف الشاهد العياني إلى الشاهد الإيماني القرآني ، فيقوى إيمان المنفق، وتسخو نفسه بالإنفاق"

وتأمل كيف جمع السنبلة في هذه الآية على "سنابل " وهي من جموع الكثرة، إذ المقام مقام تكثير وتضعيف، وجمعها على" سنبلات" في قوله تعالى:" وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات" (يوسف من الآية ٤٦)، فجاء بها على جمع القلة، لأن السبعة قليلة، ولا مقتضى للتكثير. وقوله تعالى :" والله يضاعف لمن يشاء" قيل " المعنى ، والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء ، وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق في نفسه لصفات المنفق وأحواله، وفي شدة الحاجة ، وعظيم النفع، وحسن الموقع ، وقيل : والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك ، فلا يقتصر به على السبعمائة، بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة. واختلف في تقدير الآية ، فقيل : مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله ، كمثل حبة، وقيل: مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذر حبة، ليطابق الممثل للمثل به .

فهنا أربعة أمور: منفق ، ونفقة، وباذر، وبذر، فذكر-سبحانه- من كل شق

(١) التفسير القيم ص ١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهم قسميه، فذكر من قسم الممثل المنفق ، إذ المقصود ذكر حاله وشأنه،وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظة عليها . وذكر من شق الممثل به البذر - إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة، وترك ذكر الباذر ، لأن الغرض لا يتعلق بذكره".

ثم يعلق على ذلك بقوله:

" فتأمل هذه البلاغة والفصاحة والإيجاز المتضمن لغاية البيان"، ثم يتطرق إلى الفاصلة في الآية وشدة مناسبتها لما قبلها في معنى، فيقول :" ثم ختم الاية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها، وهما " الواسع العليم " فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة، ولا يضيق عنها عطنه، فإن المضاعف واسع العطاء، واسع الغنى ، واسع الفضل ، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق، فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة، وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا أهل لها ، فأن فضله وكرمه تعالى لا يناقض حكمته ، بل يضع فضله مواضعه، لسعته ورحمته، وبمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه."[1]

وبعد:

فهذا جانب من تحليل ابن القيم لهذه النماذج من التمثيلات ، نرى فيها عمق الفكرة، وبعد الفهم وذوقاً بلاغياً عالٍ في توجيه آيات التمثيل والربط بينها.

فهذه الأسرار العظيمة والفوائد الجليلة التي استخرجها ابن القيم من هذه الآيات الكريمة ، تنبىء عن جهد عظيم بذله ابن القيم في هذا الاستنباط ، يساعده حس فطري في استكشاف بلاغة القرآن وتذوق الكلام.

وهكذا تجلى حس ابن القيم البلاغي في توجيهه لآيات القرآن الكريم ، وفهمه لكتاب الله الكريم ، وقد كان لتوجيهه هذا والتماسه العلل البيانية التي تظهر بلاغة القرآن وتكشف سموه البياني ، أثر طيب في المسلمين عامة ، وفي تلاميذه ومريديه بصفة خاصة .

---

(١) التفسير القيم ، ص ١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

ابن القيم بلاغياً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني
ابن القيم بلاغيا[*]

ألف ابن القيم في مجال الدرس البلاغي كتابه " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" . وهذا يعطي صورة واضحة عن مدى معرفته بالعلوم البيانية ومدى تعمقه واطلاعه الواسع على أسرار اللغة العربية وعلومها وتضلعه بها.

منابع بلاغة ابن القيم في كتابه " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان".

ذكر ابن القيم في مقدمة كتابه مصادر ثقافته البلاغية والكتب التي نقل عنها ، كما ذكر غيرها في معرض شرحه لموضوعات البلاغة التي تناولها في كتابه . فقد اطلع ابن القيم في تأليفه على أمهات كتب البلاغة في عصره، وأفاد منها، وأضاف إليها ما جادت به قريحته في فهم أسرار اللغة ومراميها. ومما قاله ابن القيم في مقدمة كتابه:[1]

" هذه الجملة التي تأصلت وتحصلت والفوائد التي بعد إجمالها فصلت نقلتها من كتب ذوي الاتقان علماء علم البيان التي وقفت عليها وترقت همة اطلاعي إليها من كتب المتقدمين والمتأخرين وهي : كتاب البديع لابن المعتز وكتاب الحالي والعاطل للحاتمي، وكتاب المحاضرة له، وكتاب الصناعتين للعسكري، وكتاب اللمع للعجمي ، وكتاب المثل السائر لابن الأثير، وكتاب الجامع

(×) سوف أعتمد في هذه الدراسة على نسختين لكتاب الفوائد المشوق..." الأولى ويرمز لها بالفوائد المشوق وهي طبعة دار الكتب العلمية- بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢. والثانية ويرمز لها بالفوائد المشوق بت، وهي طبعة دار الكتب العلمية أيضا ولكنها بدون تاريخ، وجاء هذا الاعتماد لعدم وضوح الخط ولكثرة الأخطاء المطبعية. وكلا النسختين بدون تحقيق وإن طبع على غلاف الأولى : " حققت أصوله وضبطه جماعة من العلماء باشراف الناشر". وقد تمكنت بفضل الله ومنه تحقيق معظم أجزاء هذا الكتاب من خلال هذه الدراسة، والله اسأل أن يساعد على نشره بحلته الجديدة.

(١) الفوائد المشوق بت ٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكبير لابن الأثير أيضا وكتاب البديع لإسامة بن المنقذ، وكتاب العمدة للزنجاني، وكتاب نظم القرآن له أيضا. وكتاب نهاية التأميل في كشف أسرار التنزيل لكمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم الأنصاري. وكتاب التفريع في علم البديع لزكي الدين عبدالعظيم بن أبي الأصبع. وكل كتاب من هذه الكتب أخذ من كتب شتى مع ما أضفت إليهامن فوائد مستعذبة وفرائد حسنة المساق مستغربة نقلتها عن الأئمة الأعلام الأكابر ونقلتها عنهم من ألسنتهم لا من بطون دفاترهم ....."

الهدف من تاليفه:

قبل البحث في هذا الكتاب ينبغي أن أشير إلى الهدف الذي رمى إليه ابن القيم حينما ألفه.

وقبل الخوض في الإجابة أود الرجوع إلى ما بعد (٦٥٦ هـ) . فبعد الدمار الذي لحق ببلاد الشام، والنكبة التي قضت على الشيء الكثير من التراث العلمي يوم سقطت بغداد وذهب ضحيتها مئات من العلماء ومئات الألوف من الكتب القيمة التي لم يبق منها إلا الأسماء في طيات الكتب، ونتيجة لحروب المسلمين ضد الصليبين وهجمات التتار وسقوط صرح الحضارة الإسلامية ، اتجه الحريصون عليها إلى إعادة بناء ما تهدم من ثقافة اسلامية عربية.

لقد صرح ابن القيم في مقدمة كتابة أن هدفه من هذه الكتاب هو:[1]" إحياء لعلم البيان المطلع على نكت نظم القرآن الذي قد عفت آثاره، وقلت أنصاره، وتقاعدت الهمم عن تحصيله، وضعفت العزائم عن معرفة فروعه فضلا عن أصوله، فما علم من العلوم الإسلامية رمي بالهجر والنسيان ما رمي به علم البيان".

وهذا أبرز هدف من أهداف النهضة العلمية وهو إحياء العلوم ، ومن بين هذه العلوم علم البلاغة أو كما سماه ابن القيم علم البيان[2].

---

(١) الفوائد المشوق ص ١٠.

(٢) الفوائد المشوق ص ٩، ١٠، ١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والملاحظ أن ابن القيم اعتبره من العلوم الاسلامية ، كيف لا وهو الأداة التي تمكن المفسر من فهم القرآن وإدراكه إدراكا صحيحا والتوصل إلى معرفة إعجازه وسر جماله وروعته.

لقد تنوع التدريس في المدرسة الصدرية كغيرها من مدارس دمشق بين تدريس العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وعلم التاريخ، وغيرها من العلوم فدرست العلوم الشرعية: الحديث والتفسير والفقه والقراءات ، ودرست علوم اللغة العربية : الصرف والنحو والبلاغة والأدب.. ودرس التاريخ. ودرست بعض أصناف العلوم العقلية مثل المنطق وعلم الكلام ، ودرست بعض العلوم العملية مثل الرياضيات: الحساب والجبر، ودرست الميقات...

وقد نالت علوم اللغة العربية عناية كبيرة في مدارس الشام، وتمثلت تلك العناية في مظاهر متعددة من أهمها: أن العربية في نحوها وصرفها وأدبها وبلاغتها كانت مادة من أهم مواد الدراسة، وأن المعتنين بها وبتدريسها والتصنيف فيها كانوا كثيرين.

من هنا يظهر لدينا الهدف التعليمي من وراء هذا الكتاب الذي درس صاحبه في المدرسة الصدرية وغيرها .

وطبيعة الثقافة الإسلامية تضع الاهتمام بعلوم اللغة العربية في أول أولوياتها لصلتها القوية بالعلوم الدينية ، فالعلوم العربية تخدم العلوم الشرعية وهي ضرورية لتفهم العلوم الدينية تفهما جليا ، فقد تحدث ابن خلدون (-٨٠٨هـ) عن هذه العلاقة واصفا العلوم الدينية بأنها، علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن"[1]، فالمهتم بالعلوم الدينية يكون مهتما بالعلوم العربية

(١) ابن خلدون (-٨٠٨هـ) المقدمة، ت علي عبدالواحد وافي، ط١، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م ٤/١٢٥٤ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغيرها.

ومن المعروف أن علوم العربية على وجه الخصوص ، قامت لتوضيح القرآن وتفسيره وتبين إعجازه وغير ذلك ، ومن هنا يظهر لنا الهدف الديني وراء هذا الكتاب، وبهذا الشأن يقول ابن القيم :"[1]إذ الغرض من هذا الكتاب معرفة ما تضمنه الكتاب العزيز من أنواع البيان وأصناف البديع وفنون البلاغة وعيون الفصاحة وأجناس التجنيس..." لأن من لا يعرف علم اللغة العربية وعلم البيان لا يعرف فضل القرآن [2]" وكان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمعزل ولم يقم ببعض حقوق المُنزِل والمُنزَل "[3].

مما سبق يتضح لنا أن هناك ثلاثة أهداف رمى إليها ابن القيم حينما كتب مؤلفه في البلاغة وهي :

هدف عام : وهو إحياء للعلوم الإسلامية ... وهو ما قام به علماء النهضة العلمية.

هدف خاص ديني: يرمي إلى خدمة القرآن وبيان فضله وإعجازه.

وهدف ثالث ضمني تعليمي لطلاب العلم والمعرفة.

بعد أن تعرفنا على أهداف ابن القيم من تأليفه الفوائد المشوق ننتقل لنتبين ما بذله من جهد وعمل في هذا الكتاب في مجال البحث البلاغي .

لقد أشار ابن القيم إلى عمله في هذا الكتاب غير مرة، فبعد اطلاعه على أمهات الكتب البلاغية التي ذكرها في مقدمة كتابه وما ذكره أثناء تناوله موضوعات بلاغية، ألف هذا الكتاب الذي يقول فيه:"[4] سنورد في كتابنا هذا

(١) الفوائد المشوق ص٧٢.

(٢) الفوائد المشوق ص٩.

(٣) الفوائد المشوق ١٠.

(٤) الفوائد المشوق ص٩ انظر ٧٢، ١٢٧، ٣٩٢، ٤٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصولا مؤصلة وفوائد مفصلة من علم البيان وما ورد نظيره في القرآن ما تقف عليه ويعجبك عند النظر إليه " فعمله مقصور على الجمع والتطبيق لا البحث والدرس، وإن كانت له من حين لآخر التفاتات وملاحظات دقيقة تنم عن سعة إطلاعه وتذوقه للبلاغة.

والجميل في هذا الكتاب أن ابن القيم طبق موضوعات البلاغة على القرآن الكريم بالدرجة الأولى وبعض الأحاديث النبوية وأشعار العرب وكلامهم المنثور، وبذلك تجلت الناحية التطبيقية بأوضح معانيها، وفي هذا يقول ابن القيم في نهاية كتابه في الفصل الأخير " فيما احتوى عليه الكتاب العزيز من تلوين الخطاب ومعدوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع..." إذ يختم هذا الفصل بقوله [1]:" فهذه أكثر من مائه وعشرين نوعا ذكرناها مفصلة معينة بشواهدها من الكتاب العزيز والكلام الفصيح وأشعار العرب المخضرمين والمتأخرين ...."

وقد اتبع ابن القيم في كتابه أسلوبا تقريريا ، فهو يتناول التعريفات والتقسيمات، أو يضع القاعدة ويقسم الأقسام ثم يشرحها ويحللها ويمثل لها بناء على اطلاعه على كتب البلاغة، دون أن يبدي رأيا له على الأغلب.

عرض لكتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان

يشتمل الفوائد المشوق على مقدمة وقسمين:

بدأ ابن القيم مقدمته بالكلام على علوم البيان وفيه يشيد ابن القيم بها لأنها تعين على فهم القرآن ومعرفة إعجازه.

القسم الأول : تحدث فيه عن الفصاحة والبلاغة والحقيقة وبعض مباحث البيان من مجاز واستعارة وتمثيل.

---

(١) الفوائد المشوق ص٤٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى ابن القيم أن الكلام البليغ هو الذي بلغ من جودة الألفاظ وعذوبة المعاني إلى غاية لا يبلغ إلى مثلها إلاّ مثله"[1]، وهذا يذكرنا بقول ابن الأثير أن علم البيان إنما هو الفصاحة والبلاغة في الألفاظ والمعاني[2] .

القسم الثاني : ما تضمنه القرآن الكريم من فنون البلاغة وعيون الفصاحة وضروب علم البيان وبدائع البديع وأجناس التجنيس ، وقسمه إلى قسمين(فنين).

الفن الأول : ما يتعلق بالمعاني من بلاغة وتناول فيه أربعة وثمانين مصطلحا أذكر منها : التناسب والتكميل والتتميم والتقسيم والاعتراض والالتفات والتكرار والاقتباس والتذييل والإشارة والكناية والتعريض والاستطراد والتورية والاقتضاب والمقابلة والاختراع والتعقيب المصدري والتجريد والمحتمل الضدين والهزل الذي يراد به الجد والاستدراج وخذلان المخاطب والاستخدام والاقتصاد والإفراط والتفريط والفصل والوصل والتلميح والتعديد وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتصريح بعد الايهام وغيرها.

الفن الثاني : ما يتعلق بالألفاظ من فصاحة، تعرض من خلاله لأربعة وعشرين مصطلحا أذكر منها : الاشتقاق والحل والعقد والازدواج وتضمين المزدوج والتسجيع والترصيع والتسميط والتوشيح والمخالفة ولزوم ما لا يلزم والتفويق والتطريز وما يقرأ من جهتين والتهذيب والإنسجام ورد العجز إلى الصدر .. وغيرها. وقد ذكر خلالها فصلا خاصا تناول فيه التجنيس ، ويرى ابن القيم فيه أن المحسنات البديعية اللفظية هي العلم الذي يبحث فيه أحوال اللفظ من حيث لا يمكن أن يؤتى به إلا بحسن انتظام وهو منقسم إلى أقسام[3]. وأود أن أشير إلى

(١) الفوائد المشوق ص١٢.

(٢) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ط١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م ، ١/٤٠.

(٣) الفوائد المشوق ص٣٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن القيم قد ذكر أن هناك فنا ثالثا [١] سوف يتناوله لاحقا وهو فن ليس في القرآن الكريم منه شيء ، ولكنه ورد في كلام العرب نثرهم ونظمهم كالبارد [٢] والتقصير والسلخ[٣] والمسخ والجهامة [٤] والرذالة [٥] وغيرها .

ولكننا لا نجد لهذا الفن أثرا في كتاب الفوائد المشوق سوى الذكر، وربما سقط هذا بسبب النساخ أو لاعتبار كتاب الفوائد المشوق تطبيقا على ما اشتمل عليه القرآن الكريم من أنواع البيان وفنون البلاغة وعيون الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع، ولخلو القرآن العظيم من هذا الفن تم حذفه وإسقاطه ، والله أعلم.

ولقد ختم ابن القيم كتابه هذا بثلاثة فصول مستقلة : في الفصل الأول ذكر ما اشتق منه القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف، وبيان معانيها ويرى أنه ينبغي أن يكون مقدما في أول الكتاب [٦].

وتحدث في الفصل الثاني عن إعجاز القرآن العظيم [٧] ذكر فيه آراء كثيرة من العلماء مفعمة بوجوه جمة لبيان إعجاز القرآن كإيجازه أو حسن تركيبه أو بديع ترتيب ألفاظه وجزالتها أو غرابة أسلوبه العجيب واتساقه الغريب، أو ما يقع في النفوس عند تلاوته من الروعة.. أو ما احتوى عليه من العلوم التي لم يسبق إليها أحد من البشر، وغيرها الكثير من الآراء . ويرى ابن القيم " أن الأقرب من هذه الأقاويل إلى الصواب قول من قال أن إعجازه بحراسته من

(١) الفوائد المشوق بت ص ٨.
(٢) المصدر السابق ص ١٧٨.
(٣) المصدر السابق ص١٦٤.
(٤) المصدر السابق ص ٢٢٤.
(٥) المصدر السابق ٢٢٢.
(٦) المصدر السابق ص ٢٤٤.
(٧) المصدر السابق ص ٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التبديل والتغيير والتصحيف والتحريف والزيادة والنقصان[١]. ويستحسن أيضا قولهم أن إعجازه بتحدي العرب بمعارضته والإتيان بمثله أو بمثل بعضه.

أما الفصل الثالث فقد عقده ابن القيم لبيان ما احتوى عليه الكتاب العزيز من تلوين الخطاب وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس[٢].

وبعد عرضنا لمجمل ما أورده ابن القيم في كتابه الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان نلحظ أن ابن القيم يتوسع في مفهوم علم البيان بحيث يشمل بعض مباحث علم المعاني وكثيرا من مباحث علم البديع مجاريا في ذلك المفهوم الجاحظ(-٢٥٥هـ) الذي يعتبر كلمة البيان مرادفة لكلمة البلاغة ، وضياء الدين بن الأثير (-٦٣٧هـ) في كتابه المثل السائر[٣].

طريقة ابن القيم في الدرس البلاغي :

أما الطريقة التي سار عليها ابن القيم في تأليف كتابه الفوائد المشوق. . وما امتاز بها على مؤلفات عصره ، فهي طريقة تجمع بين العلم والعمل والتطبيق الذي يثبت به العلم - وقد أشرنا إلى أن الهدف التعليمي كان من بين جملة الأهداف التي رمى اليها ابن القيم من وراء هذا الكتاب. أما العلم فيتمثل في القواعد الكلية العامة، وأما التطبيق والعمل فيتمثل في الأمثلة والشواهد ، فإذا كانت القاعدة العامة الكلية هي الصورة الإجمالية للمعلومات الجزئية، فإن الأمثلة والشواهد صور تفصيلية لها.

تلك هي طريقة ابن القيم : يذكر القاعدة الكلية وأحيانا يقسمها إلى قواعد

---

(١) الفوائد المشوق، ص٣٩٠-٣٩١.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(٣) المثل السائر ، ٤٠/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رئيسة ثم يردفها بالأمثلة والشواهد التي تفصلها وتوضحها ، إدراكا منه بأن التعليم النافع إنما يكون بقرن الصورة المفصلة بالصورة المجملة ، إذ بالتفصيل تعرف المسائل ، وبالاجمال تحفظ في العقل .

وحتى ندرك هذه الطريقة سوف نعرض لبعض النماذج المختارة التي تناولها ابن القيم في كتابه "الفوائد المشوق"، ولتكن هذه الموضوعات : التذييل والاختراع والتجنيس والتكميل.

التذييل:

وهو تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتوكيد [١]

درس ابن القيم التذييل من عدة وجوه:

الأول في حد التذييل والمعنى الذي أتى به . الثاني : في اشتقاقه . الثالث : في أقسامه.

فنرى ابن القيم يذكر القاعدة العامة الكلية ثم يقسمها إلى قواعد رئيسة ويأخذ بشرح وتوضيح كل قاعدة رئيسة عن طريق الاستشهاد والتمثيل ، فيقول [٢]: في الوجه الأول :" أما الأول: فقد قال علماء علم البيان أنه تذييل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق بها ما قبلها من الكلام، وتلك الجملة على قسمين:

قسم لا يزيد على المعنى الأول وإنما يؤتى به للتأكيد والتحقيق، وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله".

---

(١) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ضبط محمد عبدالحكيم القاضي، ط١، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة ، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ٧٠.

- الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ت محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر، ١٩٨٤م، ٤٠٥/٣.

(٢) الفوائد المشوق بت ص١٢١-١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم ينتقل ابن القيم إلى العمل والتطبيق فيستشهد ببعض الآيات القرآنية عليهما زيادة في التوضيح ، فيقول : ومثال ما جاء من الكتاب العزيز متضمنا القسمين معا قوله تعالى :" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله "(التوبة من الآية ١١١).

ففي الآية الكريمة تذييلان ، أحدهما : قوله تعالى :" وعدا عليه حقا" فإن الكلام تم قبل ذلك ثم أتى سبحانه وتعالى بتلك الجملة ليحقق بها ما قبلها .

الآخر : قوله سبحانه :" ومن أوفى بعهده من الله " فأخرج هذا مخرج المثل السائر ليحقق ما تقدم .

ويتابع ابن القيم الاستشهاد بالآيات القرآنية ، وينهي استشهاده بقوله ومثله كثير من القرآن الكريم ، وبعد أن ينهي استشهاده بالآيات القرآنية ينتقل إلى الأحاديث النبوية ويقول :" ومثال ما جاء منه في السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم :" من هَمَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، ولا يهلك على الله إلا هالك " قوله " ولا يهلك على الله إلا هالك " تذييل في غاية الحسن أخرج الكلام فيه مخرج المثل .

ثم يأتي ابن القيم ببعض الأبيات الشعرية، ويذكر منها قول النابغة الذبياني[1]:

ولست بمستبقٍ أخا لا تلمه على شعثٍ أي الـــرجالْ المهذب

فقوله : أي الرجال المهذب من أحسن تذييل وقع في الشعر.

الوجه الثالث : أقسام التذييل: التذييل ثلاثة أقسام ، وقد تقدم منها قسمان

(١) ديوان النابغة الذبياني ، شرح محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع ، الشركة الوطنية الجزائر، ١٩٧٦، ص ٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الثالث فهو التذييل بالحروف.

وهو أن تزيد إحدى الكلمتين على الأخرى بحرف فقط، إما من آخرهاوإما من أولها.

وبعد أن يعرفه ابن القيم يأخذ بالتمثيل زيادة في التوضيح ، بقوله: فمثال الزائد في آخر الكلمة قولهم : فلان حامٍ حامل لأعباء الأمور ، كافٍ كافل بمصالح الجمهور، كقول أبي تمام:(١)

يمدون من أيد عواصٍ عواصم تصول بأسياف قواضٍ قواضب

ومثال الزائد في أول الكلمة قوله تعالى " والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق" (القيامة الآية ٢٩-٣٠).

فقد جاء التذييل عند ابن القيم كما جاء عند غيره من البلاغيين ، إلا أن ابن القيم أضاف قسما ثالثا على أقسام التذييل وهو التذييل بحرف، وقد أورد البلاغيون ذلك تحت باب التجنيس الناقص(٢).

الاختراع :(٣)

يذكر ابن القيم تعريف علماء البيان للاختراع،وهو أن يذكر المؤلف معنى لم يسبق إليه وأما اشتقاقه فهو من التليين والتسهيل ، يقال نبت خرع إذا كان لينا، فكأن المتكلم سهل طريقه حتى أخرجه من العدم إلى الوجود.

ومما جاء منه في القرآن الكريم قوله تعالى :" إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه

(١) شرح ديوان ابي تمام شاهين عطية ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٤٦.

(٢) انظر على سبيل المثال : محمد بن علي الجرجاني(٧٢٩هـ)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ت:د. عبدالقادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٢٩٢ ، وانظر جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغه ، شرح محمد دويدري، ط٢، دار الجيل ، بيروت، ١٩٨٢م ص ١٨٥-١٨٦ ، وانظر يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، ٢/٣٦٢-٣٥٣ /٣٦٢-٣٦٣.

(٣) الفوائد المشوق بت ص ١٥٦-١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضعف الطالب والمطلوب" (الحج من الآية ٧٣) وغيرها في القرآن كثير.

ويعقب ابن القيم على هذه الآية: ولم يسمع بمثل هذا التمثيل البديع لأحد قبل نزول القرآن الكريم ولو سمع لكان القرآن سابقا ولا يكون مثله ولا قريبا منه، وكذلك جميع أمثال القرآن ليس لها أمثال .

ومثال ماجاء منه في السنة النبوية قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" "حمي الوطيس"، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أول من تكلم بهذا، والوطيس هو التنور فعبر بشدة حميه ووقوده عن شده الحرب واتقادها واتقاد نارها حين حمل خالد بن الوليد على الأعداء في غزوة مؤتة .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :" السعيد من وعظ بغيره" ومنها أيضا قوله صلى الله عله وسلم :" أما بعد " وغيرها الكثير الكثير من السنة النبوية .

التكميل - ويسمى الاحتراس - :

ويعرف ابن القيم التكميل بقوله[1]: هو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معاني المدح أو غيره من فنون النظم والنثر ثم يرى مدحه فيه اقتصاد وقصور عن الغرض وأنه يحتاج إلى تكميل يزيده بيانا وإيضاحا فيكمله بمعنى" آخر"وهذا التعريف في غاية التبسيط حتى يتفهمه السامع والقارىء بيسر وسهولة. وزيادة في التوضيح من خلال الأمثلة والشواهد يذكر ابن القيم قوله تعالى :" فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين" (المائدة من الآية ٥٤) فانظر إلى هذه البلاغة فإنه سبحانه وتعالى علم وهو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين، وإن كانت صفة مدح إذ وصفهم بالرياضة لإخوانهم المؤمنين والانقياد لأمرهم، كان المدح غير كامل فكمل مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين فأتى بوصفهم بالامتناع منهم والغلبة لهم .

(١) الفوائد المشوق بت ص ٨٩-٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك قوله تعالى :" محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم " (الفتح من الآية ٢٩) ومثاله من النظم قوله كثير عزة :[١]

ولو أن عزةَ خاصمتْ شمسَ الضحى في الحُسن عند موفقٍ لقُضيَ لها

ومن هنا يظهر الأسلوب التعليمي عند ابن القيم بلغة سهلة بسيطة مدعمة بالأمثلة والشواهد حتى يتمكن المتعلم من الفهم والتطبيق .

التجنيس :[٢]

قسم ابن القيم التجنيس إلى حقيقي ومشبه بالتجنيس ، وأراد بالتجنيس الحقيقي الجناس التام وبالثاني: المماثل والمغاير والتصحيف والتحريف والتشكيل والعكس والتركيب والترصيف والترجيع.

فالتجنيس الحقيقي : هو أن تأتي بكلمتين كل واحدة منهما موافقة للأخرى في الحروف مغايرة لها في المعنى ، واستشهد بالآية الكريمة :" ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة " (الروم من الآية ٥٥) ويعقب ابن القيم على هذه الآية بأن الجناس التام لم يرد في القرآن الكريم إلا بتلك الآية.

أما المشبه بالتجنيس فقد قسمه ابن القيم إلى تسعة أقسام :

١. التجيس المماثل : وهو أن يكون من اسمين أو فعلين كقوله تعالى :" يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم "(يوسف من الآية٨٤).

٢. التجنيس المغاير: وهو يكون من اسم وفعل ، ومنه قوله تعالى:"وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين" (النمل من الآية ٤٤) وقوله تعالى:" أزفت الآزفة" (النجم الآية ٥٧).

٣. تجنيس التصحيف : وهو أن يكون اللفظ فرقا بين الكلمتين، ومنه قوله

---

(١) ديوان كثير عزة، جمع وشرح د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١، ص٣٩٤.

(٢) الفوائد المشوق بت ، ص ٢٤٠-٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى: " وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" (الكهف من الآية ١٠٤).

٤. تجنيس التحريف : وهو أن يكون الحرف فرقا بين الكلمتين، ومنه قوله تعالى: " وهم ينهون عنه وينأون عنه" (الأنعام من الآية ٢٦) وقوله تعالى:" فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس " (التكوير الآية ١٥-١٦).

٥. تجنيس التشكيل : وهو أن يكون الشكل فرقا بين الكلمتين، ومنه قوله تعالى :" ولقد أرسلنا فيهم منذرين، فانظر كيف كانت عاقبة المنذرين"(الصافات الآية ٧٣).

وقد جمع بعض الشعراء في أبيات فيها أجناس من التجنيس منها قول أحدهم:

رب خُـودٍ عـرفتُ في عرفـات سلبتني بحسنها حسنـاتي
ورمـتْ بالجمـار حبـة قلبـي أي قلب يقوى على الجمرات
وأفـاضتْ مـع الحجيـج ففـاضت من دموعي سوابق العبـرات
حرمتْ حين أحرمتْ نـوم عيني واستباحت حماي باللحظات
لم أنل في مِنى مُنى النفس لكن خِفْتُ بالخيف أن تكون وفاتي

فقوله " عـرفت في عـرفـات " تجنيس مـغاير، وقـوله " سلبـتني بحـسنها حسناتي" مما ثل وكذلك قـوله " أفـاضت فـفـاضت " . وكذلك قـوله " حـرمت وأحـرمت" وكذلك قوله " بالجمار والجمرات" وقوله " ولم أنل في منى منى النفس" تجنيس التشكيل وقوله " خفت بالخيف" تجنيس مغاير.

٦. تجنيس العكس: وهو أن تكون حروف الكلمتين غير مرتبة . مثاله من القرآن قوله تعالى " إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي" (طٰه من الآية ٩٤) وقد جاء في الشعر أن يقدم حرفا في كلمة ويؤخره في أخرى ، ومنه قول حسان[1] في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

تحمله الناقةُ الأدماءُ معتجراً بالبرد كالبدر غَشَّى نوره الظلما

(١) لم أعثر عليه في ديوان حسان بن ثابت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، وشرح ديوان حسان بن ثابت، ضبط عبدالرحمن البرقوي، دار الأندلس، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧. تجنيس التركيب: وهو أن يجمع بين اسمين أو اسم وفعل ثم يجعلهما كالكلمة الواحدة . مثال الأسم مع الأسم - بعلبك- ومعدي كرب. ومثال الفعل مع الاسم حضرموت ورام هرمز. وقد جاء في القرآن الكريم " ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد" (الفجر الآية ٥-٦).

وهو في الشعر كثير ، ومن ذلك قول المتنبي : [١]

وشـــادنٍ قلتُ لـــه هل لك في المنادمه

فقال كم من عاشقٍ سَفَكْتُ بالمنى دمه

٨. تجنيس التصريف: وهو أن تنفرد إحدي الكلمتين عن الأخرى بحرف مثل قوله تعالى:" ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون" (غافر الآية ٧٥) ومثله قوله تعالى :" وهم ينهون عنه وينأون عنه " (الأنعام من الآية ٢٦) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :" الخيل معقود بنواصيها الخير" ومنه قوله الأعشى :[٢]

ورأيت أن الشيبَ خـــــا نته البشاشةُ والبشـارة.

ومن هنا نرى أن تجنيس التحريف لا يختلف عن تجنيس التصريف بشيء.

٩. تجنيس الترجيع : هو أن ترجع الكلمة بذاتها كما قال الله عزوجل " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات " (الحديد من الآية ٢٥) ومنه قوله تعالى " إن ربهم بهم يومئذ لخبير" (العاديات الآية ١١). ومنه قول الشاعر:

وما منعت دار ولا عز أهلها من الناس إلا بالقنا والقنابل

---

(١) لم أعثر عليه في ديوان المتنبي ، شرح العكبري، تصحيح مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٩٧هـ -١٩٧٨م، والعرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح ناصيف اليازجي، ط٢، دار القلم ، بيروت.

(٢) في ديوان الاعشى، شرح يوسف فرحات، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص١١٧:

ورأت بأن الشيب جا نبه البشاشة والبشارة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال النماذج السابقة نتبين طريقة ابن القيم في عرض الموضوعات البلاغية ، وهي طريقة تقوم على التقسيم والتعريف والتمثيل بالشواهد والأمثلة بأسلوب سهل وبسيط يغلب عليه الطابع التعليمي ذو النكهة القرآنية الفواحة.

ويمكن اعتبار ابن القيم في كتابه هذا جامعا أكثر منه مبدعا ومجددا لما كتبه البلاغيون المتقدمون والمتأخرون - من آراء بلاغية ممن وصلنا كتبهم أو ممن لم يصلنا شيئا من مؤلفاتهم - ممن ذكرهم في مقدمته، أو من تعرض لذكرهم خلال الشرح والتوضيح من مثل فخر الدين الرازي، والغانمي والشيخ عز الدين بن عبدالسلام والزمخشري والثعالبي وابن الأنباري وغيرهم .

والقارىء لكتاب الفوائد المشوق يتجلى له الذوق السليم والروح الأدبية التي تمتع بها ابن القيم إلى جانب تجلي الناحية التطبيقية. هذا الذوق الذي لا يمكن بدونه فهم روعة القرآن وسر إعجازه ، ويتجلى هذا الذوق وتلك الروح الأدبية في كثرة الشواهد التي اقتبسها ابن القيم من القرآن الكريم ، وهذا أمر طبيعي فبحثه البلاغي هو تطبيق على القرآن الكريم ، لأنه يريد أن يظهر ما في آيات الكتاب من روعة وإبداع وبلاغة وقف العرب أمامها مسحورين. وبذلك كان القرآن أول مصدر اعتمد عليه ابن القيم في ذكر الأمثلة والشواهد، ويأتي الشعر في المرتبة الثانية والأحاديث النبوية في المرتبة الثالثة وأخيرا المنثور من كلام العرب .

كما جاء أسلوب ابن القيم سهل الفهم بسيط العبارة واضح المعنى يبعث في النفس شوقا وارتياحا وحبا في المتابعة حتى يطمئن القلب ويرتاح العقل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإلى جانب هذا فإننا نجد أن ابن القيم أكثر من التقسيمات والتفريعات فذكر مصطلحات وتقسيمات كثيرة ، كمصطلحات مباحث علم البديع ، وما تقسيمات المجاز والاستعارة والتشبيه ... إلا دليل على ذلك ، وهذه التقسيمات تدل على عقليته المتأثره بعلم الكلام والمنطق . ومع هذا نجد له تعليلات أدبية جمع معظمها من غيره وأبدع بعضها تبين قدرته وميزته على الإفصاح ، ووضوح التعبير عنده بسهولة ويسر ، وتدل على سعة اطلاعه ، وعلى ذوقه الأدبي الرفيع والإحساس الفني المرهف .

أهمية الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان:

إذا كان ابن القيم في مادة كتابه جامعا أكثر منه مبدعا، فقد كان مجددا في أسلوب تأليفه وعرضه ، فقد خرج ابن القيم عن المألوف في التأليف في فنون البلاغة. فالراجح أن مؤلفات البلاغة في القرن السابع والثامن والتاسع للهجرة انصبت على شرح لكتاب المفتاح للسكاكي (-٦٢٦هـ) [١] وتلخيصه وتوضيحه الذي يعتبر أول من أغلق باب التأليف في فنون البلاغة، فبكتابه المفتاح تمت مباحثها، وأصبح لكل علم منها كيان مستقل ، وسار على طريقه من جاء بعده من البلاغيين ، ولم يأتوا بجديد ، فمنهم من جاء مفسرا لمبهم أو مفصلا لمجمل أو مختصرا لمطول [٢].

وفي عصر ابن القيم نال كتاب تلخيص الفتاح للقزويني (-٧٣٩هـ) شهرة واسعة وغيره من المؤلفات التي دارت حول كتاب المفتاح ككتاب المصباح في علوم المعاني والبيان والبديع لابن مالك (-٦٨٦هـ) .

---

(١) أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ط١، مطبعة بابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٣٥.

(٢) المصدر السابق ص٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فابن القيم بكتابه هذا يمكن اعتباره من البلاغيين الذين دعوا الى فتح باب التجديد وبعث الروح الأدبية في التأليف بدلا من التقسيم والتحديد والتجميد وقتل الروح الأدبية .

وتظهر أهمية هذا الكتاب من خلال كثرة النقول التي جمعها ابن القيم بهدف حفظ العلم في الدرجة الأولى، فقد حفظ لنا كثيرا من النصوص المنقولة من علماء البلاغة وهذا يفيدنافي مجال تحقيق مؤلفات أصحاب هذه النصوص .

وقد لمست هذه الأهمية من خلال تتبعي لبعض النصوص التي نقلها ومقارنتها بما جاء في المؤلفات التي وصلتنا فوجدت بعض هذه النصوص في الكتب المحققة قد سقطت بعض كلماتها ، فاجتهد المحققون وعوضوا بدلا منها كلمات ليستقيم المعنى، إلا أنني وجدتها في كتاب الفوائد المشوق كاملة .

وهناك عبارات يعتريها بعض الاضطراب وضعف في السبك في بعض المؤلفات المحققة ، إلا أنني وجدتها في كتاب الفوائد المشوق .. بصيغة اخرى قوية السبك مترابطة متناسقة[1].

كما أنني وجدت بعض المفردات في الكتب المحققة خالطها لبس من حيث الشكل (الرسم) أو التنقيط - ربما بسبب النساخ- وإذا رجعنا إلى الفوائد المشوق.. وصححناها لا نشعربأي لبس.

---

(١) انظر على سبيل المثال :

فخر الدين الرازي ، نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ، ت ابراهيم السامرائي، ومحمد بركات أبو علي دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان، ١٩٨٥، ص ١٢٨، وقابلها في الفوائد المشوق بت ص ٤٥ تحت القسم الأول من أقسام الاستعارة حيث عوض المحقق كلمة (والشق) بدلا من (بينهما) وانظر نهاية الإيجاز ص ١٣٠ وقابلها في الفوائد المشوق ص ٤٦ تحت القسم الثالث من أقسام الإستعارة .

وانظر نهاية الإيجاز ص ١٧٦ وقابلها في الفوائد المشوق بت ص ٦٩ تحت موضوع الإيجاز ، ويوجد مثلها في المثل السائر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأثر ابن القيم بالبلاغيين الذين سبقوه

ذكر ابن القيم في مقدمة كتابه " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" البلاغيين الذين أثروا به موضحا بصريح العبارة بأنه اعتمد على مؤلفاتهم وما سمع من ألسنتهم ، وقد ذكر غيرهم في معرض حديثه عن بعض الموضوعات البلاغية المتعددة. وقد كان حريصا أشد الحرص على الأمانة العلمية .

والحقيقة أن ذكره لهؤلاء العلماء تلزمنا بالرجوع إلى مؤلفاتهم والبحث والتدقيق فيها حتى ندرك أثرها في مؤلفه ، ونستخلص ما أضافه من زيادات جديدة في كتابه ، وهذه الإضافات هي المجهود الشخصي له .

ولقد رجعت إلى المؤلفات التي ذكرها ، فوجدت ابن القيم اعتمد كثيرا على ضياء الدين بن الأثير ويليه الشيخ عز الدين بن عبدالسلام وفخر الدين الرازي اللذين لم يشر إليهما في مقدمته، ووجدته اقتطف آراء وأفكار غيرهم من البلاغيين أمثال العسكري وقدامة بن جعفر وابن أبي الأصبع وأسامة بن منقذ وغيرهم ونثرها في كتابه الفوائد المشوق في العلوم البلاغية .

وسوف أتناولهم بالبحث والدراسة والمقابلةواحدا واحدا مبتدئا بهم حسب الأسبقية الزمنية لهم .

قدامة بن جعفر (-٣٣٧هـ) - كتاب - نقد الشعر:-

وهو من بين العلماء البلاغيين الذين أخذ عنهم ابن القيم ، ولم يذكره في المقدمة ضمن قائمة من اعتمد عليهم في مؤلفه " الفوائد المشوق ..."

وقد أخذ عن كتابه " نقد الشعر" بعض القضايا البلاغية التي منها : تعريفه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للغرابة[١]، والأوصاف الأربعة التي يمدح بها[٢] والتشبيب[٣]والغزل [٤].

أبو هلال العسكري (-٣٩٥هـ) - كتاب الصناعتين:-

ذكره ابن القيم في مقدمة كتابه . وورد اسمه في الفوائد المشوق.. في نقل ابن القيم عن ابن الأثير الذي تعرض للعسكري في بعض الموضوعات والآراء كما نجده في الإطناب الذي نقله ابن القيم عن ابن الأثير وهو -الأخير- الذي لخص قول العسكري[٥] .

كما تحدث ابن القيم عن العسكري أثناء حديثه عن التعليق والإدماج حيث قال: أن العسكري سماه المضاعف ، وذكر البيت الشعري الذي ذكره العسكري.[٦]

أسامة بن منقذ (-٥٨٤هـ) - البديع في نقد الشعر:-

وهو من بين جملة علماء البلاغة الذين اعتمد عليهم ابن القيم في كتابه"الفوائد المشوق.. " وذكره صراحة في مقدمة كتابه.

وقد نقل عنه تعريف الازدواج[٧]والفك والسبك[٨] كما رجع ابن القيم إلى تعريف ابن المنقذ للاستخدام وأمثلته[٩]، وناقشه حول الحشو غير المفيد[١٠] .

---

(١) الفوائد المشوق بت ص ١٧٢، وقارن بنقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى ط٣، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٩، ص ١٤٩.

(٢) الفوائد المشوق بت ص ١٩٣ وقابل بنقد الشعر ص ٦٦-٦٩.

(٣) الفوائد المشوق بت ص ٢١١ وقارن بنقد الشعرص ١٢٣-١٢٤

(٤) الفوائد المشوق بت ص٢١٠ وقارن بنقد الشعر ص ١٢٣- ١٢٨.

(٥) الفوائد المشوق بت ص١٠٧ وقارن بكتاب الصناعتين تحقيق مفيد قميحة ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤، ١٣٠٣هـ ص ٢٠٩، وانظر ايضا الفوائد المشوق بت ص ٩٢، والصناعتين ص ٣٧٩.

(٦) الفوائد المشوق بت ص ٢١٥، وقارن بكتاب الصناعتين ص ٤٧٨.

(٧) الفوائد المشوق بت ص٢٢٥ وقارن البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبدالمجيد ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٠، ص١١١.

(٨) الفوائد المشوق بت ص ٢٢٤، وقارن البديع في نقد الشعر ١٦٣.

(٩) الفوائد المشوق بت ص ٢١٦ وقابل البديع في نقد الشعر ص ٨٢.

(١٠) الفوائد المشوق بت ص ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثر فخر الدين الرازي (-٦٠٦هـ) :-

اعتمد ابن القيم كتاب " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" من بين المصادر الرئيسة في تأليف كتابه " الفوائد المشوق.." ، ولم يكن هذا المصدر مذكورا ضمن قائمة المصادر المذكورة في مقدمة كتابه ، وإنما ذكره في معرض تناوله لبعض القضايا البلاغية. وأثر الرازي في كتاب " الفوائد المشوق ..." الذي نقل فيه ابن القيم كثيرا من آراء الرازي نقلا شبه حرفي تقريبا، حاله كحال ابن الأثيرولكن ليس بالكثرة التي وجدناها عند ابن الأثير، فقد أخذ ابن القيم تعريفات الرازي للترصيع[١]والتلميح [٢]الموجه [٣]والتعديد [٤]. كما نقل عنه نقلا حرفيا فصلا كاملا تحت عنوان "جملة ما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارة وصنوفها[٥]".

كما أخذ ابن القيم من نهاية الإيجاز أقساما من بعض المسائل البلاغية التي تناولها في كتابه " الفوائد المشوق " كحديثه عن حد الاستعارة[٦]وأقسامها ، كما نقل قولا عن أقسام الاستعارة [٧] عند بعض العلماء من نهاية الايجاز ، ونقل عنه أيضا الأشياء[٨] التي يكون منها التشبيه وأقسام التشبيه[٩]وما يجوز عكسه[١٠] من التشبيه وما لا يجوز والتشبيه [١١] في الهيئات التي تقع عليها الحركات..

---

(١) الفوائد المشوق بت ص٢٢٩، وقابل بنهاية الايجاز ص ٦٦.

(٢) الفوائد المشوق بت ص ١٦٢ وقابلها بنهاية الايجاز ص ١٤٧.

(٣) الفوائد المشوق بت ص ١٦٥ وقابلها بنهاية الإيجاز ص ١٤٨.

(٤) الفوائد المشوق بت ص١٦٤ وقابلها بنهاية الإيجاز ص ١٤٧.

(٥) الفوائد المشوق بت ص ٤٦-٤٨ وقابل بنهاية الايجاز ص ١٣١ - ١٣٣.

(٦) الفوائد المشوق بت ص ٤٣ وما بعدها وقارن بنهاية الايجاز ص ١١٥.١٢٨-١٣٠.

(٧) الفوائد المشوق بت ص ٤٨-٤٩. وقارن بنهاية الايجاز، ص١٢٧.

(٨) الفوائد المشوق بت ص ٥٥-٥٧ وقارن بنهاية الايجاز ص ٩٦-٩٨.

(٩) الفوائد المشوق بت ص ٥٧-٥٩ وقارن بنهاية الايجاز ص٩٢-٩٥.

(١٠) الفوائد المشوق بت ص ٦٣ وقارن بنهاية الايجاز ١١٠.

(١١) الفوائد المشوق بت ص ٦٣-٦٥ وقارن بنهاية الايجاز ص ١١١-١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما تحدث ابن القيم عن الايجاز وتفضيل قوله تعالى "ولكم في القصاص حياة " على قول العرب " القتل أنقى للقتل" بوجوه سبعة ، نقلها ابن القيم من نهاية الايجاز نقلا حرفيا [١].

وفي فصل " ذكر إعجاز القرآن العظيم " نقل ابن القيم عن الرازي نقلا حرفيا رأيه في الرد على من رأى أن إعجاز القرآن يعود إلى غرابة أسلوبه العجيب واتسامه الغريب الذي خرج عن أعاريض النظم وقوانين النثر، وأساجيع الخطب[٢]

ونأخذ على ابن القيم أنه لم يشر إلى الرازي في بعض نقوله .

وقد تخلل أكثر هذه النقول إضافات متنوعة لابن القيم كاستشهاده ببعض الأبيات الشعرية كأبيات ابن سناء الملك التي هجا بها الشمس عند ما تحدث ابن القيم عن التشبيه في يالهيئات التي تقع عليها الحركات[٣] . وقد تكون الإضافات بزيادة الاستشهاد بالآيات القرآنية . وهذه الإضافات والزيادات سنتبينها بشكل واضح عندما نتناول موضوع إضافات ابن القيم بشكل موسع في الصفحات القادمة إن شاء الله .

- ضياء الدين بن الأثير (-٦٣٧هـ) في كتابيه " الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور" و " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"

كان لابن الأثير أثر في ابن القيم في كثير من المسائل البلاغية ، فقد استشهد بالكثير من آراء ابن الأثير وكان كثيرا ما يردد اسمه بقوله :" وقال ابن الأثير في جامعه" و " ذكر ابن الأثير في جامعه"

---

(١) الفوائد المشوق بت ص ٦٩-٧٠ وقابلها بنهاية الايجاز ص ١٧٦-١٧٧.

(٢) الفوائدالمشوق بت ص ٢٤٧ وقارن بنهاية الايجاز ص٣٤.

(٣) الفوائد المشوق بت ص ٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خلال تتبعي لابن القيم في كتابه الفوائد المشوق ... فقد كان ينقل بعض المسائل البلاغية نقلا شبه حرفي من كتاب ابن الأثير الجامع الكبير، وبعض هذه المسائل البلاغية ما نقلها كاملة من الجامع ، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

الحمل [١] على المعنى والتصريح [٢] بعد الايهام والتعقيب [٣]المصدري وتأكيد[٤] المتصل بالمنفصل والخطاب [٥] بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية المؤكدة بأن المشددة وتفضيل احداهما على الأخرى ولام [٦]التأكيد والاستدراج [٧] وخذلان[٨] المخاطب والتقسيم [٩]وغيرها.

وبعض هذه المسائل البلاغية ما نقل قسما كبيرا منها من الجامع الكبير كتقسيم الاستعارة[١٠] واشتقاقها[١١]وشروطها[١٢] ، وفيما تتهيأ به الاستعارة [١٣] وما لا تتهيأ وفي التشبيه عندما تحدث عن الغرض[١٤]منه وعن التشبيه[١٥] بغير أداة والتشبيه المركب بالمركب[١٦]، وأقسام الالتفات الثمانية[١٧] وأقسام التكرار[١٨]

(١) الفوائد المشوق بت ١٠٤-١٠٥ وقارن بالجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لابن الأثير تحقيق وتعليق مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ص ١٩٥٦م ، ١٣٧٥هـ ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) الفوائد المشوق بت ص ١٧٩-١٨١، وقارن بالجامع الكبير ص ١٧٢-١٧٤.

(٣) الفوائد المشوق بت ص ١٨١-١٨٢، وقارن بالجامع الكبير ١٧٥-١٧٦.

(٤) المفوائد المشوق بت ص ٢٠٤-٢٠٧ ، وقابل بالجامع الكبير ص ١٥٢-١٥٦.

(٥) الفوائد المشوق بت ص ٢٠٧ وقابل بالجامع الكبير ص ٢٢٤.

(٦) الفوائد المشوق بت ص ٢٠٨، وقابل بالجامع ص ٢٢٥.

(٧) الفوائد المشوق بت ص ٢١٢-٢١٤، وقارن بالجامع ص ٢٣٥-٢٣٨ والمثل السائر ٢٦٢/٢ وما بعدها .

(٨) الفواد المشوق بت ص ٢١٤-٢١٥، وقارن بالجامع الكبير ص ١٩٧-١٩٨.

(٩) الفوائد المشوق بت ص ٩١-٩٣، وقارن بالجامع الكبير ص ٢١٨- ١٢١.

(١٠) الفوائد المشوق بت ص ٤٩-٥٠، وقابل بالجامع ص ٥٠.

(١١) الفوائد المشوق بت ص ٥٠ وقارن بالجامع ص ٨٢.

(١٢) الفواند المشوق بت ص ٥٣-٥٤ وقارن بالجامع ص ٨٣-٨٤.

(١٣) الفوائد المشوق بت ص ٥١، وقابل بالجامع الكبير ص ٨٢-٨٣.

(١٤) الفوائد المشوق بت ص ٥٤-٥٥، وقابل بالجامع ص ٩٠.

(١٥) الفوائد المشوق بت ص ٦٠، وقابل بالجامع ص ٩١.

(١٦) الفوائد المشوق بت ص ٦١، ٦٢ وقابلها بالجامع ص ٩٣، ٩٤.

(١٧) الفوائد المشوق بت ص ١٠٠-١٠٤، وقابل بالجامع ٩٨-١٠٦.

(١٨) الفوائد المشوق بت ص ١١٣، ١١٤، ١١٦، وقابل بالجامع ص ٢٠٩-٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأقسام الكناية[١] والتعريض[٢] والحذف القبيح[٣] وأقسام الاشتقاق[٤] ... وغيرها الكثير.

مما تقدم يتضح أن ابن القيم أخذ الكثير من المسائل البلاغية التي تناولها في كتابه الفوائد المشوق ... من ابن الأثير واعتمد على كتابيه المثل السائر والجامع الكبير ونقل عنهما نقلا حرفيا . فأثر ابن الأثير واضح بابن القيم ، فقد نقل عنه الكثير الكثير من آرائه ، والدارس لهذا الكتاب يلاحظ الأثر واضحا فيه، فآراء ابن الأثير منتشرة في معظم المسائل البلاغية التي تناولها ابن القيم.

ويمكن اعتبار ابن القيم من أتباع مدرسة ابن الأثير. فقد تابعه ابن القيم في آرائه وأمثلته وتحليله ، فبلاغة ابن القيم فيها الكثير من بلاغة ابن الأثير الذي اعتمد عليه ونقل كثير من آرائه في المسائل التي ذكرناها وغيرها من المسائل البلاغية.

ابن أبي الأصبع المصري (-٦٥٤هـ) - بديع القرآن :-

ذكره ابن القيم في مقدمة كتابه ، ونقل عنه نقلا حرفيا عندما تحدث عن حسن المقطع[٥] بأن جميع خواتم السور في غاية الحسن ونهاية الكمال، ونقل عنه أيضا موضوع الترديد[٦]، ولكنه جاء في الفوائد المشوق تحت عنوان التورية وربما هذا خطأ وقع به النساخ لأن ابن القيم قد ذكر التورية في معرض حديثه عن الإشارة[٧] واعتبر التورية من أقسام الإشارة وعرفها تعريفا بلاغيا.

---

(١) الفوائد المشوق بت ص ١٢٧-١٣٢ وقابل بالجامع ص ١٥٧-١٦٦.

(٢) الفوائد المشوق بت ص ١٣٣-١٣٥ وقابل بالجامع ص ١٥٦، ١٥٧، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩.

(٣) الفوائد المشوق بت ص ٨٠-٨١ وقابل الجامع ص ١٤١.

(٤) الفوائد المشوق بت ص ٢٢١-٢٢٢ وقابل بالجامع ص ١٩٩-٢٠١.

(٥) الفوائد المشوق بت ص ١٣٨ وقارن ببديع القرآن، تحقيق حفني محمد شرق، ط١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م، ٣٤٦، ٣٤٧.

(٦) الفوائد المشوق بت ص ١٣٦ وقارن ببديع القرآن ص ٩٦.

(٧) الفوائد المشوق بت ص ١٢٥، ١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيخ عزالدين بن عبدالسلام الشافعي - ٦٦٠هـ:

كتاب " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" لصاحبه عبدالعزيز عبدالسلام، الملقب بسلطان العلماء [١]، اعتمده العلامة ابن القيم من بين المصادر الرئيسة في تأليفه " للفوائد المشوق..." ، ولم يكن هذا المصدر مذكورا ضمن قائمة المصادر المذكورة في مقدمة الفوائد المشوق ، إلا أن ابن القيم ذكر اسمه مرتين عندما تناول[٢] المجاز في كتابه.

ويعتبر كتاب ابن عبدالسلام " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" من الكتب التي تناولت المجاز في القرآن الكريم بشكل موسع.

ومن خلال تتبعي لابن القيم في كتابه الفوائد المشوق .. وجدت أن ابن القيم قد أخذ المجاز كله عن عزالدين بن عبدالسلام في كتابه " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" ، ولكي تتضح هذه الحقيقة أود أن أذكر ما نقله ابن القيم عن ابن عبدالسلام مع التوثيق.

بعد أن عرف ابن القيم المجاز وذكر المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله وحديثه عن اشتقاقه وعن علة النقل ، انتقل إلى أقسام المجاز الكثيرة ونقل عن ابن عبد السلام مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق وأقسامه الكثيرة ، وما احتوى عليه الكتاب العزيز أربعة وعشرين قسما وهي :

١. التجوز بلفظ العلم عن المعلوم
٢. التجوز بلفظ المعلوم عن العلم
٣. التجوز بلفظ القدرة عن المقدور.

---

(١) الزركلي الاعلام ٢١/٤ وانظر ترجمته في عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي .. ، ١٧٦/٣-١٩٥.
(٢) الفوائد المشوق بت ص ١٣ ، ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. التجوز بلفظ الإرادة عن المراد.

٥. التجوز بلفظ المراد عن الإرادة.

٦. اطلاق اسم الفعل على الجزء الأول منه وعلى الجزء الأخير.

٧. التجوز بلفظ الأمل عن المأمول .

٨. التجوز بلفظ الوعد والوعيد عن الموعود من ثواب وعقاب .

٩. اطلاق العهد والعقد على الملتزم منهما.

١٠. اطلاق اسم البشرى على المبشربه .

١١. اطلاق اسم القول على المقول فيه .

١٢. اطلاق اسم النبأ عن المنبأ عنه .

١٣. اطلاق الاسم على المسمى .

١٤. اطلاق اسم الكلمة على المتكلم به.

١٥. اطلاق اسم اليمين على المحلوف.

١٦. اطلاق اسم الحكم على المحكوم به .

١٧. التجوز بلفظ العزم على المعزوم عليه .

١٨. التجوز بلفظ الهوى عن المهوي.

١٩. اطلاق اسم الخشية على المخشى.

٢٠. اطلاق اسم الحب على المحبوب .

٢١. اطلاق اسم الظن على المظنون.

٢٢. اطلاق اسم اليقين على المتيقن.

٢٣. اطلاق اسم الشهوة على المشتهى.

٢٤. اطلاق اسم الحاجة على المحتاج اليه [1]

وتابع ابن القيم النقل عن ابن عبدالسلام حول المجاز في القرآن الكريم ،

(١) انظر الفوائد المشوق بت ١٢-١٦ وقارن بالإشارة إلى الايجاز في بعض أنواع المجاز للإمام أبي محمد عزالدين بن عبدالعزيز بن عبد السلام الشافعي ، دار الحديث، القاهرة ، بت من ٣٠-٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنقل اطلاق اسم السبب على المسبب[١] واطلاق اسم المسبب على السبب[٢]، واطلاق اسم الفعل على غير فاعله لما كان سببا له[٣] والإخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم وفي خطابهم بما يتعلق ببعضهم[٤] واطلاق اسم البعض على الكل[٥] واطلاق اسم الكل على البعض[٦] وفي التجوز بوصف الكل بصفة البعض[٧] واطلاق اسم الفعل على مقارنته ومشارفته[٨] واطلاق اسم الشيء بما يؤول إليه[٩] وإطلاق اسم الشيء على الشيء الذي يظنه المعتقد والأمر على خلافه[١٠] والتضمين. وهو أن يضمن اسما معنى اسم لافادة معنى الاسمين فتعديه تعديته في بعض المواطن[١١] وفي مجاز اللزوم[١٢] والتجوز بالمجاز عن المجاز[١٣] والتجوز في الاسماء[١٤] والافعال[١٥] والتجوز بالحروف بعضها عن بعض[١٦] واطلاق اسم المتوهم علي المحقق[١٧].

من خلال هذا التتبع والمقارنة يجد القارىء أن ابن القيم قد نقل أقسام

---

(١) الفوائد المشوق بت ١٦-١٨، وقارن بالاشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ٣٧-٣٩.

(٢) الفوائد المشوق بت ١٨-٢٠ وقارن بالاشارة ... ص٤٠-٤١.

(٣) الفوائد المشوق بت ٢٠-٢١، وقارن بالإشارة .. ٤٢-٤٧.

(٤) الفوائد المشوق بت ص ٢١ وقارن بالإشارة ص ٤٧.

(٥) الفوائد المشوق بت ص ٢٢-٢٣، وقابلها بالاشارة .. ص ٤٨-٥٠.

(٦) الفوائد المشوق بت ص ٢٣-٢٤ وقارن بالإشارة.. ص ٥٠.

(٧) الفوائد المشوق بت ص٢٤ وقارنها بالإشارة ... ص ٥٠-٥١

(٨) الفوائد بت ص ٢٥ وقابلها بالاشارة ... ص ٥١.

(٩) الفوائد بت ص ٢٥ وقارن بالإشارة... ص ٥٢.

(١٠) الفوائد بت ص ٢٦-٢٧، وقارن بالإشارة ص ٥٣-٥٤.

(١١) الفوائد بت ص ٢٧ وقارن بالإشارة... ص ٥٥.

(١٢) الفوائد ص ٢٨-٣٠ وقارن بالاشارة... ٥٨-٦٢.

(١٣) الفوائد بت ص ٣١ وقارن بالإشارة... ص ١١٢.

(١٤) الفوائد بت ص ٣١ وقارن بالإشارة ... ص٢٠.

(١٥) الفوائد بت ص ٣٢-٣٦ وقارن بالإشارة ... ص ٢٦-٢٩.

(١٦) الفوائد ص ٣٦-٤٢ وقارن بالإشارة ... ص ٢٠-٢٦.

(١٧) الفوائد بت ص ٢٦ وقارن بالإشارة... ص ٥٢.

(١) الفوائد المشوق بت ص ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز في القرآن الكريم عن ابن عبدالسلام نقلا شبه حرفي تخلله حذف كثير للشواهد القرآنية، وتوضيحاتها، وهناك تباين في التقسيمات والتفريعات، فقد جمع ابن القيم أول أربعة وعشرين قسما من المجاز تحت قسم مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق -كما نجده سابقا " واعتبرها من أقسامه ، في حين اعتبر ابن عبدالسلام كل قسم منها مجازا مستقلا وحده.

كما اعتبر ابن القيم بعض التقسيمات الرئيسة تفريعات ، بعكس ما يجده المتتبع عند ابن عبد السلام فعلى سبيل المثال : اعتبر ابن القيم تحت قسم " إطلاق اسم الفعل على غير فاعله لما كان سببا له" " إطلاق نسبة الفعل على سبب سببه" فرعا له في حين اعتبره ابن عبدالسلام فصلا وقسما مستقلا .

وكذلك اعتبرابن القيم " نسبة الفعل إلى الآمر به" فرعا لنفس القسم السابق -" اطلاق اسم الفعل على غير فاعله..." - في حين اعتبره ابن عبدالسلام قسما مستقلا ، ومثله موجود في ثنايا كتابه.

في خضم هذا النقل ظهرت لابن القيم أضافة فقهية تساعد في التوضيح والفهم فبعد أن نقل عن ابن عبدالسلام تحت موضوع " نسبة الفعل إلى الآذن فيه" استشهاده بالآية القرآنية" فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره" (البقرة الآية ٢٣٠) وذكر ما قاله ابن عبدالسلام نسب النكاح إليهن لأذنهن فيه.

أضاف ابن القيم من خلال قدرته الفقهية والتفسيرية :" هذا على قول من قال أن المرأة العاقلة البالغة الثيب لا تنكح نفسها ، وأما على قول من قال أنها تنكح نفسها فهو حقيقة فيهن مجاز فيما سواهن"[١]

وابن القيم في نقله المجاز عن ابن عبدالسلام وهو من العلماء الأصوليين

(١) الفوائد المشوق بت ص ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمع في كتابه " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" بين المدرسة الأصولية والمدرسة البيانية.

وأود أن أشير في هذا الموضع إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن ابن القيم قد تحدث عن المجاز في كتابه الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان حديثا مستفيضا، حديث من يقره ويعترف بوجوده ، ومن يطلع على مؤلفه " الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" يجد ابن القيم يرفض المجاز ، ويرى القول به - وبخاصة في القرآن الكريم - قولا فاسدا، وقد أتى في نقضه نحوا من خمسين وجها في أكثر من مائتي صفحة من كتابه - الصواعق المرسلة[1]. وقد سمى هذا المجاز طاغوتا، فقال في فاتحة الكلام فيه " كسر الطاغوت الثالث وهو المجاز"، وفيه ذكر ابنُ القيم ابنَ جني - وهو ممن قال بالمجاز-[2] فنقل عنه نقلا طويلا وخصه بخمسة وعشرين ردا ، وكانت ردودا إجمالية ثم تناول تفصيل ذلك في أكثر من مائة صفحة.[3]

فابن القيم أنكر المجاز في القرآن ، وتناول من يجيزه من أمثال ابن جني ورد عليه ، وكتابه الفوائد المشوق .. كما رأينا ثلثه في المجاز.

فهل وقع ابن القيم في تناقض ، وهو العالم العلامة الموسوعي الثقافة؟!

لقد وفق الله أحد الباحثين - وهو الدكتور عبد العظيم المطعني- الإجابة عن هذا التساؤل من خلال كتابه " المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم " ومختصر إجابته[4] أن ابن القيم مقر بالمجاز معترف به ، وإنما أنكره في مواقف طارئة غير

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره الشيخ محمد بن الموصلي وصححه : زكريا علي يوسف ، ط٢، مطبعة الإمام ، مصر، ١٣٨٠هـ ، ٢/٢٤١-٤٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ٢/٢٩٢-٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ٢/٣٠٧-٤٥٤

(٤) انظر، عبدالعظيم المطعني، المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم : بين مجوزيه ومانعيه ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٥، ٢/١٠٠ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصيلة لما رأى مصلحة في إنكاره، وهي الحد من فوضى التأويل التي وصلت عند بعض الطوائف إلى حد التعمية والإلغاز و العبث بحرمة النصوص، حتى كادت هذه الطوائف تفقد الناس الثقة في ظواهر الألفاظ والتراكيب ودلالاتها ووصلت بها الإساءة إلى أقدس النصوص وهو القرآن الكريم . فالذين كذبوا نوحا صاروا بفوضى التأويل كراما بررة ، وبقرة بني اسرائيل المأمور بذبحها صارت عائشة أم المؤمنين ؟!

فالمجاز كالماء اذا تحكمنا فيه وصرفناه حسب الحاجة كان فيه قوام الحياة وإن تجاوز حده صار طوفانا مهلكا.

وهكذا كل نعمة إن زادت عن حدها انقلبت إلى ضدها. من هنا انبرى ابن القيم - حاله كحال استاذه ابن تيمية من قبله[1]- فأنكر المجاز في اللغة وفي القرآن معا، ليقطع على المتأولين الفوضويين كل الطرق، ويرد كيدهم في نحورهم وسد الذرائع عند الفقهاء وبخاصة المجتهدين منهم سلاح ماض في وقف الأخطار ودرء الفتن والمفاسد فإنكاره وسيلة لدفع ضرر وسد لمنافذ خطر. وفوق كل ذي علم عليم .

وبعد :

فهؤلاء هم العلماء الذين أثروا ببلاغة ابن القيم، ووجدت أثرهم في كتابه " الفوائد المشوق..." وإن كان قد ذكر غيرهم في مقدمة كتابه، ولكنني لم أجد لهم أثرا في هذا الكتاب ، وربما أثرهم كان في ثقافة ابن القيم البلاغية التي اتحفتنا بهذا المؤلف .

إن كثرة النقول في كتاب الفوائد المشوق ... وغيرها من كتب ابن القيم ، وكثرة إشارات ابن القيم إلى من نقل عنهم تدفعنا إلى الثقة به ، وتبرز لنا

(١) انظر السابق، ٢/٩٠٠ وما بعدها ، موقف ابن تيمية من المجاز.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الروح والأمانة العلمية التي امتاز بها العلامة ابن القيم وأظهرت مقدرته الكبيرة وإطلاعه العلمي الواسع. وكان القصد من النقل حفظ العلم في المقام الأول وكما أشرنا سابقا ... ومن خلال تتبع نقول ابن القيم في كتابه الفوائد المشوق ... فقد كان نقله عن قدامة وابن أبي الأصبع المصري وأسامة بن المنقذ وأبي هلال العسكري وغيرهم ليس بالكثرة التي رأيناها في موضوع تأثره بابن الأثير وعبدالعزيز بن عبدالسلام وفخر الدين الرازي .

وقد ذكر ابن القيم في كتابه الفوائد المشوق .. غيرهم من العلماء كالجاحظ[١] والغانمي[٢]وعلي بن عيسى[٣] والزنجاني[٤] والزمخشري[٥] والثعالبي [٦] وابن الانباري[٧]وابن سنان الخفاجي[٨].

ونأخذ على ابن القيم نقله لبعض الآراء دون الإشارة إلى أصحابها. فقد أخذ عن الرازي الكثير وعن غيره ممن تتبعتهم، وربما يعود هذا إلى أن حافظته القوية تمكنت من حفظ المعلومات والأفكار وهي الأهم وغضت الطرف عن أصحابها.

---

(١) الفوائد المشوق بت ص ٥١. ٢٠٩ (عن الإفراط).

(٢) المصدر السابق ص ٥١. ٩٢. ١٣٣. ١٤١ (عن الاقتضاب).

(٣) المصدر السابق ص ٤٣.

(٤) المصدر السابق ص ٢٢١. ١٤٠. ١٤٧.

(٥) المصدر السابق ص ١٠٦ (تحت الزيادة في البناء).

(٦) المصدر السابق ص١١٨.

(٧) المصدر السابق ص ١٩٤ (الحمد والشكر، مدح مقلوب حمد).

(٨) المصدر السابق ص ٥١. ١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إضافات لابن القيم :

على الرغم من كثرة النقول التي وجدناها في كتاب الفوائد المشوق .. والتي تبيناها فيما سبق ، فقد كانت لابن القيم اضافات تنبيء عن مقدرته العلمية وهضمه للآراء والأفكار ومزجها بشخصيته ، وفي ذلك يقول ابن القيم في مقدمة كتابه "[١] مع ما أضفت اليهامن فوائد مستعذبة وفرائد حسنة المساق مستغربة ... وما أضفت إلى ذلك مما تفضل الله به ومنح من مهمل أبنته ومجمل فصلته....."

وقد جاءت جل إضافات ابن القيم بعد عبارة " قال المصنف عفا الله عنه". وبالرغم من كثرة النقول التي أخذها ابن القيم عن ابن الأثير. وتأثره الكبير به نجد لابن القيم وقفة مع ابن الأثير حول الحذف المخل بالمعنى[٢]" وهو الذي يطلق على ما يحذف من أصل اللفظ وهو إسقاط بعض حروفه، ولا يجوز استعماله في القرآن الكريم ولا في التأليف لكنه يجوز في الشعر لأنه العرب قد أوردته في أشعارها واستعملته في كلامها فحذفت بعض الألفاظ استخفافا، حذفا لا يخل بالباقي وتعرض بالشبهة ، فمنها قول علقمة :[٣]

كأن إبريقهم ظبي على شرف مفدما بسبا الكتان ملثوم

فقوله -بسبا الكتان- يريد بسبائب الكتان . وقول لبيد:

درس المنا بمتالع فأبان أراد المنازل

وهذا وأمثاله قليل جدا وإياك أيها المؤلف أن تستعمله في كلامك وإن كان جائزا ، وقد ورد في أشعار العرب مثله ".

وبعد أن يورد ابن القيم رأي ابن الأثير يأخذ بنقاشه والرد عليه بقوله [٤]:

---

(١) الفوائد المشوق بت ص ٨.

(٢) الفوائد المشوق بت ص ٨٠-٨١.

(٣) في الديوان مفدم ، ديوان علقمة الفحل ، حققة لطفي الصقال ودرية الخطيب، ط١ ،دار الكتاب العربي حلب، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ص ٧٠.

(٤) الفوائد المشوق بت ص٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" هذا الذي ذكره ابن الأثير فيه نظر لأنه قد صح عن ابن عباس وجماعة من أكابر الصحابة والسلف الصالح أن هذه الحروف التي في أوائل السور كل حرف منها دال على كلمة حذف أكثرها ودل على هذا المنطوق به على المحذوف، وقالو أن معنى "الم" أنا الله الملك، وقالوا في "كهيعص" أن الكاف من كافٍ والهاء من هادٍ، واستدلوا علي ذلك بأن العرب استغنت بذكر حرف من الكلمة عن ذكرها في كثير من كلامها وأشعارها ففهمت المراد من ذلك الحرف ومنه قول الشاعر:

جارية قد وعدتني أن تا تدهن رأسي أو تفلي أوتا

أراد أن تأتي وتدهن رأسه وتفلي أو تمسح . وغيرها من الابيات .

ومثل هذا في أشعار العرب وكلامهم كثير وإذا كثر استعماله كان من الكلام الفصيح المعدود وحسن في التركيب وكلما بعد غور الكلمة واستعجم معناها كان فهمه بأول وهلة دليلا على صحة الأفهام وجودة الغرائز وسلامة الطباع وحسن موقع اللفظ به ".

كما خالف ابن القيم " اسامة بن المنقذ عندما استشهد -الثاني- ببعض الأبيات الشعرية حول الحشو غير المفيد.

والحشو غير المفيد أن تأتي في الكلام بألفاظ زائدة ليس فيها فائدة أما الأبيات الشعرية فهي : قول النابغة :[1]

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العامُ سابعُ

وقول آخر:

نأت سلمى فعادوني صداعُ الرأس والوصبُ

وفي الحماسة :

أنعى فتى لم تذر الشمس ساطعة[2] يوما من الدهر إلا ضر أو نفعا

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ، ص١٦٢.

(٢) في الديوان(طالعة)، شرح ديوان حماسة أبي تمام، تأليف أبي الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم النحوي الشنتمري، تحقيق د. علي المفضل حمودان ط١، دار الفكر ، بيروت، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م، (١/٥٩٦) (بسيط)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقوله"طالعة" حشو لا فائدة فيه لأن قولهم ذرت الشمس أي طلعت [١].

وبعد أن يذكر ابن القيم رأي أسامة بن منقذ يأخذ بالرد عليه ويفند كل بيت شعري جاء به مدعما رأيه ببعض الآيات القرآنية .

ويقول ابن القيم حول هذه الأبيات الشعرية :" وهذه الكلمات التي ذكرها ليست بزائدة بل لها معان" فقوله " لستة أعوام وذا العام سابع " فليس بزائد وقد ورد مثله في القرآن وهو قوله تعالى :" ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة" (البقرة من الآية ١٩٦) وإنما قال ذلك في باب التتميم وهو رفع اللبس وتقرير المعنى في النفس .

وأما قوله " صداع الرأس" فهو من الإصابة والشق ومثل ذلك يتهيأ في سائر الأعضاء.

وأما قوله " تذر الشمس طالعة" فهما وإن كانا بمعنى واحد فالعرب من عادتها أن تكرر لفظين بمعنى واحد للتأكيد . كقول الشاعر :

وهند أتى من دونها النأي والبعد...

ومنه قوله تعالى :" فمهل الكافرين أمهلهم رويدا" (طارق الآية ١٧) [٢]

وعندما تناول ابن القيم القَسَم أضاف في نهايته أقسام القسم في القرآن[٣] والتي هي قسمان : قسم مظهر وآخر مضمر، فالأول كقوله تعالى :" فورب السماء والأرض..." و" الطور وكتاب مسطور" ومثله كثير في القرآن وأما القسم المضمر فهو على قسمين :

قسم دلت لام القسم على حذفه كما في قوله تعالى :" لتبلون في أموالكم

---

(١) الفوائد المشوق بت ص٩٧.

(٢) المصدر السابق ص ٩٧.

(٣) الفوائد المشوق بت ص ١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنفسكم" وفي قوله تعالى :" لترون الجحيم".

والقسم الثاني : ما دل عليه المعنى في مثل قوله تعالى:" وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا " (مريم الآية ٧١) تقديره والله إن منكم إلا واردها وله في القرآن نظائر.

وعندما تحدث ابن القيم عن المؤاخاة في المعاني والألفاظ ، اعتمد على ابن الأثير في هذا الموضوع[١] ، إلا أن ابن القيم خالفه في استقباح تباين المباني .

فابن القيم يرى أنه ليس بمستقبح وقد ورد في القرآن العظيم منه كثير[٢] ومن ذلك قوله تعالى :" ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم" (البقرة من الآية ٧).وقد استقبح تباين المباني في قول أبي تمام :[٣]

مثقفاتٌ سلبن الغرب سمرَتَها والرومُ رقتَها والعاشقَ القصفا.

وكان ينبغي أن يقول "والعشاق قصفها" لكن منعه الوزن والقافية .

ومما استقبح أيضا قول أبي نواس[٤]:

ألا يا ابن الذين فنوا فماتوا أما والله ما ماتوا لتبقى

وما لك فاعلمن فيها مقـام إذا استكملت آجالا ورزقا

وكان ينبغي أن يقول :" وأرزاقا" ، واعلم أن استقباح تباين المباني دون استقباح تباين المعاني . وهذا ما خالفه وعارضه ابن القيم .

وهناك وجهات نظر وآراء لابن القيم نجدها منتشرة في كتابه الفوائد المشوق.. وما تعليقه[٥] على قول العرب في أن بيت زهير [٦]في المدح أمدح بيت

---

(١) انظر المثل السائر ٣/١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧.

(٢) الفوائد المشوق بت ص ٩٣-٩٤.

(٣) في ديوان أبي تمام شرح شاهين عطية ، ص ١٩١،

مثقفات سلبن الروم زرقتها والعرب سمرتها والعاشق القضفا.

(٤) لم أعثر عليهما في ديوان أبي نواس ، أحمد عبدالمجيد الغزالي ، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٣.

(٥) الفوائد المشوق بت ص ١٧٤.

(٦) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعه أبو العباس الشيباني ثعلب الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م ، ص ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قالته العرب وهو:

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

مثال على هذه الآراء والتعقيبات، ومثاله أيضا تفضيله [١] التشبيه المحسوس على الوصف بالمعقول لثلاثة أسباب وغيرها الكثير.

كما تخلل النقول الكثيرة في كتابه الفوائد المشوق .... إضافات لبعض الشواهد من الآيات القرآنية والأبيات الشعرية بهدف التوضيح والتبسيط والتطبيق - وهو الهدف الأساسي لهذا الكتاب .

فمثال على الآيات القرآنية التي أضافها أثناء حديثه عن الاقتضاب قوله :"[٢] ومن بديع الاقتضاب قوله تعالى :" ويل للمطففين" إلى قوله :" لرب العالمين" ثم اقتضب فقال :" كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين" .. وهو في القرآن كثير جدا وأكثر ما يرد في ذكر القصص..." ومثاله ما أضافه من آيات قرآنية على بديع التفسير بعد الايهام[٣] وما أتى به من شواهد قرآنية حول الفصل والوصل[٤] والتمثيل[٥] والاستعارة [٦] وغيرها كثير.

ومثال على ما أضافه ابن القيم من أبيات شعرية ، ذكره لبعض الأبيات لابن سناء الملك[٧] والتي هجا بها الشمس عندما نقل عن الرازي التشبيه في الهيئات التي تقع عليها الحركات ، والأبيات هي [٨]:

---

(١) الفوائد المشوق بت ص ٥٩.

(٢) الفوائد المشوق بت ص ١٤٤.

(٣) المصدر السابق ، ص١٨١.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٨٦.

(٥) المصدر السابق ، ص ٦٦.

(٦) المصدر السابق ، ص ٤٩.

(٧) المصدر السابق، ص ٦٤.

(٨) ديوان ابن سناء الملك(-٦٠٨هـ) ، تعليق محمد عبدالحق، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، الدكن- الهند، ١٣٧٧هـ -١٩٥٨م، ٥٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا كانت الشمس فكم أصدأت صفحة خد كالحسام الصقيل

وكم وكم صدت بوادي الكرى طيف خيال زارني[١] من خليل

تكذب في الوعد وبرهانه أن سراب القفر منها سليل

وتحسب النهر حساما فترتا ع وتحكي فيه قلب الذليل

ومثاله أيضا ما أضافه من أبيات شعرية في غمرة نقله عن ابن الأثير حول موضوع الحمل على المعنى [٢]، ومثاله البيت الشعري الذي استشهد به على تشبيه[٣] المعقول بالمعقول ، وغيرها كثير.

وهناك اضافات نثرية جاء بها ابن القيم بين نقوله عن علماء البلاغة في موضوعات بلاغية متنوعة كأمثلته في موضوع الأيجاز[٤] والاختصار " ومن بديع هذا النوع أن أبا جعفر المنصور سأل معن بن زائدة أيما أحب إليك دولتنا أو دولة بني أميه؟ فقال : ذاك إليك. ومعناه أن زيادة هذه المحبة ونقصانها بيدك لأنها على قدر إحسانك".

وما استشهد به من المنثور حول الاشتقاق الصغير[٥] وغيره يدعم هذه الاضافات النثرية.

تلك بعض إضافات ابن القيم والتي جادت بها قريحته التي تدل على ثقافته البلاغية وسعة اطلاعه، وجاءت هذه الإضافات بهدف التوضيح والحوار العلمي. وسنعرض فيما يلي من حديث إلى ما تميز به عن غيره في مجال المصطلحات البلاغية. ان شاء الله .

---

(١) في الديوان جاني .

(٢) الفوائد المشوق بت، ص١٠٥.

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٧.

(٤) المصدر السابق ص٧٠.

(٥) المصدر السابق ، ص٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلح البلاغي عند ابن قيم الجوزية

يغدو أمر تتبع المصطلحات البلاغية كاملة عند ابن القيم ضربا من الإطالة ونوعا من الإسهاب لا طائل منه ، وخاصة أننا عرفنا فيما مر معنا من موضوعات أن ابن القيم كان متبعا مكررا في كثير من بحوثه البلاغية ، كما أنه لم يدع فنا من ا لفنون البلاغية إلا وأشار إليه بل وأشار إلى بعض الفنون التي لم ترد عند سابقيه من البلاغيين.

وهمنا في هذا الموضوع أن نستظهر صورة المصطلح البلاغي عنده كيف يتشكل وما مدى تميزه أو تفرده ونضوجه عن غيره كيما نصل إلى رسم ملامح صورة جلية لطبيعة المصطلح البلاغي عنده والأسس التي جاءت عليها.

ولتحقيق هذه النتيجة نمر بكوكبة من المصطلحات الدالة كنماذج نحرص أن تتسيز بالتجددية أو فيها ملمح تجديدي سواء أكان بالتسمية أم المضمون متجاوزين غالبا عن تلك الفنون البلاغية التي كرر فيها ابن القيم ما قاله القدماء دون زيادة أو إبراز لوجهة نظر خاصة ، خالصين من ذلك بملاحظات حول طبيعة المصطلح البلاغي عند ابن القيم .

ومن أبرز هذه المصطلحات :

الاقتباس :

وهو عند ابن القيم :" [1]أن يأخذ المتكلم كلاما من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي أتى به، فإن كان كلاما كثيرا أو بيتا من الشعر فهو تضمين، وإن كان كلاما قليلا أو نصف بيت فهو إيداع"

وبناء على ذلك يجد ابن القيم أن القرآن قد يضم في ثناياه ما يمكن أن يدخل

---

(١) الفوائد المشوق ، ص١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحت هذا الفن على اعتبار ما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة " قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" (البقرة من الآية ٣٠) . ومثله في القرآن كثير، وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية مثل قوله :" إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم" (الأنبياء من الآية ٩٨) وهي لغة للحطب بالحبشية .

ويرى أن ما ورد في القرآن من آيات وكلمات من التوراة وغيرها فأشبه بالتضمين والايداع[١] ومن ذلك قوله تعالى " وكتبنا عليهم فيهاأن النفس بالنفس" (المائدة من الآية ٤٥).

وأما تضمين الشعر فإما أن يكون البيت المضمن مشهورا أو غير مشهور فإن كان مشهورا لم يحتج إلى تنبيه عليه وإن كان غير ذلك فلا بد من التنبيه.

ويرى أن تضمين الشعر أو الرسائل آيات من القرآن منهي عنه عند جلة العلماء لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذي أريد به ، من ذلك قول الشاعر :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

لكنه مع ذلك يجد أن بعض العلماء رخصوا تضمين الخطب والمواعظ آيات القرآن وشاع ذلك [٢].

ولعل نظرة متمعنة فيما أورده ابن القيم حول الاقتباس أو التضمين. تخبرنا عن ملمح تجديدي في مفهومه ، فالاقتباس عند البلاغيين إدراج كلمة أو أكثر من القرآن لتزيين نظام الكلام وتفخيما لشأنه[٣].

---

(١) الفوائد المشوق، ص ١٧٤.
(٢) الفوائد المشوق ، ص ١٧٦-١٧٧.
(٣) نهاية الإيجاز، ص ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في حين وجدنا أن ابن القيم وسع إطار الاقتباس ليضم النص القرآني فافترض وجوده بين الآي القرآني ومثل على ذلك ، وظني أن انطلاق ابن القيم ببلاغته من القرآن الكريم كان سببا في توسيعه لمفهوم هذا الفن فهو يرتكز جل الإرتكاز على المعين القرآني ينهل من أمثلته، ويمثل بشواهده مصطلحاته ثم يعرج إلى منطوق العرب من شعر ونثر.

ما يوهم فسادا وليس بفساد :

وهو أن يقرن الناظم أو الناثر كلاما بما ليس يناسبه ، أو يقدم التشبيه على ذكر المشبه[١].

ومنه في القرآن كثير وكذلك في أشعار العرب ، فمنه قوله سبحانه : " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" (البقرة من الآية ٢٣٨) قرنها بقوله " وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن " (البقرة من الآية ٢٣٧) الآية، واتبعها بقوله " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية " (البقرة من الآية ٢٤٠).

وينص ابن القيم أن مثل هذه الآيات قد تبدو للبعض مطعنة في بلاغة القرآن وفصاحته لكنه يدفع ذلك بأن هذا التوهم ينطلي على غير العالم إذ أن ما ورد هو الألسن والأفصح.

وكذا أورد تخريج المتنبي لبيتي أمرىء القيس :[٢]

كأني لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال.

حيث يرى بعض النقاد فساد هذا لأنه جعل التغزل مجاورا للشجاعة ،والأجود أن يجاور الغزل بالغزل والشجاعة بالشجاعة ، ويرى المتنبي أن هذا ليس بفاسد

---

(١) الفوائد المشوق ،ص٢٦٢.

(٢) ديوان امريء القيس، تحقيق، محمدأبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر، ص٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ أن امرأ القيس قرن لذة النساء بلذة ركوب الخيل للصيد وقرن السماحة في سباء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء.

وظني أن هذا الأمر هو ما يريد ابن القيم إبرازه وخاصة فيما أورد من أمثله في القرآن الكريم فالفساد متوهم وليس كذلك ، ولأجل هذا أدخل ما أطلقه البلاغيون على هذا المنحى ضمن مصطلحه. في حين أن البلاغيين اصطلحوا على تسميته بالفساد عموما دون إشارة إلى تخريجاتها ونفي الفساد عنها.

ويبدو لي أن تسمية هذا الفن بمسمى ما يوهم فسادا وليس بفساد تبين وجهة نظر ابن القيم لهذا الفن .

تنسيق الصفات بغير حرف النسق :

وهو أن تصف الشيء بصفات عديدة متوالية إما لتعظيمه واما لتحقيره وأما لبيان خصوصية فيه ، وهي في القرآن والشعر كثير [١].

كما في قوله تعالى : " هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم" (الحشر الآية ٢٢) . ومن الشعر قول حسان [٢]:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شمّ الأنوفِ من الطراز الأول .

ونجد أن ابن القيم قد خص هذا النوع ببحثه منفردا واتبعه بحديث حول حسن النسق الذي ورد عند البلاغيين متابعا لهم فيه فهو يورد تعريفا له وهو[٣]" أن تأتي بكلمات من النثر أو النظم متتاليات متعاقبات منسوقة بعضها على بعض بحرف عطف، كل كلمة إذا أفردت كانت تقوم بمعنى مفرد مستقل ، وكل بيت

---

(١) الفوائد المشوق ، ص٢٨٥.

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط عبدالرحمن البرقوقي، دارالأندلس بيروت، ص٣٦٦.

(٣) الفوائد المشوق ،ص ٢٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا جرد من تلوه استقل معناه ولم يفتقر إلى غيره وأن ضم إلى تلوه صارا كأنهما بيت واحد مثل قوله تعالى :" وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين " (هود الآية ٤٤).

وتخبرنا نظرة في كتب البلاغة أن ابن القيم أخذ بتعريفه لحسن النسق بمجامع تعاريف القدماء من البلاغيين من مثل المصري في تحرير التحبير[١] وبديع القرآن[٢]وابن الأثير الحلبي في جوهر الكنز[٣].

لكننا نجد أن ابن القيم قد فصل بين النسق بحرف النسق والنسق بدون حرف النسق ، في حين لم يفصل الآخرون بينهما وأوردوا أمثلة الفنين معا على اعتبار أنهما لنفس الفن بغض النظر عن وجود حرف النسق أو عدمه.

ولعلنا نلمح النبرة التعليمية والايماءة الكلامية في تقسيم ابن القيم فهو يفضل ويبرز حتى تغذو الأمور على أبسط الصور مستنجدا بما تعده الآي القرآني من أمثلة وشواهد .

الهدم :[٤]

وهو أن يأتي غيرك بكلام يتضمن معنى ، فتأتي أنت بضده، فكأنه قد هدم ما بناه المتكلم الأول كقول أبي تمام[٥]:

وبروحي القمر الذي بمحجر أضحى مصونا للنوى مبذولا

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن ، حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ص٤٢٥.

(٢) بديع القرآن ،ص١٦٤.

(٣) ابن الأثير الحلبي (٧٣٧هـ) جوهر الكنز، تحقيق د. محمد زغلول سلام، المعارف ، الاسكندرية ، ص٢٩٧.

(٤) الفوائد المشوق ،ص٢٣٢.

(٥) في ديوان أبي تمام ، ص٢٨٨.

وبنفسي القمر الذي بمحجر أمسى مصونا بالنوى مبذولا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هدمه بعض الشعراء فقال :

وبروحي القمر الذي لم يبتذل بل حلّ وسط القلب لا بمحجر.

ومنه في كتاب الله العزيز قوله :" وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه" (المائدة من الآية ١٨) هدمه الله بقوله " والله لا يحب الظالمين" .

ونجد أن القدماء من البلاغيين جعلوا الهدم من السرقات دون تفصيل وذلك إذ أن القول الهادم يعتمد على القول السالف المهدوم فكأنه سرق معناه ونسبه لنفسه، وظني أن الهدم يختلف عن السرقة الشعرية ففيه إبداع الضد.

الغرابة والظرافة والسهولة :

وهي عنده نقلا عن قدامة، أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه على جهة الاستحسان فيقال ظريف غريب وإذا كان عديم المثال أو قليله[1] .

والقرآن الكريم كله سهل ممتنع ألفاظه سهلة ومعانيه نادرة وأسلوبه غريب قد مازجت القلوب عذوبته وحلت في العيون طلاوته.

ونرى هنا أن ابن القيم أطلق لفظة الغرابة لا بالمفهوم الساري بمعنى التعقيد بل ربطها بالظرف والإبداع ، فهو يصف أسلوب القرآن الكريم بالغرابة حسب فهمه للغريب بمعنى الجديد والفريد.

الزيادة في البناء :[2]

وهوأن يقصد المتكلم معنى يعبر عنه لفظتان أحداهما أزيد بناء من الأخرى

---

(١) الفوائد المشوق، ص٢٥٨-٢٦١.

(٢) المصدر السابق ،١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيذكر الكلمة التي تزيد حروفها عن الأخرى قصدا منه إلى الزيادة في ذلك المعنى، لهذا قال سبحانه " واستغفروا ربكم أنه كان غفارا" (نوح من الآية ١٠) وغفار أبلغ من غافر.

ونجد أن ابن القيم قصر حديثه على الزيادة في بناء الكلمة مهملا الزيادة التي تحدث عنها البلاغيون والنحاة كزيادة الحروف وبعض الكلمات واختلافهم على صحة اطلاقها على ما ورد في القرآن الكريم من زيادات ، فكأنه أراد بذلك النأي بنفسه عن الخلافات حول الزيادة .

السؤال والجواب

وهو أن يحكى كلاما بقال ، ثم يجيبه بقال أيضا . وهو في القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى :" وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين"(البقرة الآية ٦٧) إلى قوله :" فذبحوها وما كادوا يفعلون " (البقرة من الآية ٧١) وهو في الشعر كثير[١].

وقد ورد هذا الفن عند كثير من البلاغيين فقد ذكره فخر الدين الرازي وسماه ابن حجة الحموي[٢] (-٨٣٧) المراجعة.

المؤاخاة :

وهي عنده على قسمين :

الأول المؤاخاه في المعاني .

الثاني: المؤاخاة في الألفاظ.

---

(١) الفوائد المشوق ،ص ٢٥٢.

(٢) ابن حجة الحموي(-٨٣٧هـ) ، خزانة الأدب وغاية الأرب، تصحيح ابراهيم الدسوقي، دار الطباعة ،المطبعة العامرة، مصر، ١٢٩١هـ،ص ١٢٤، ونهاية الايجار، ص١٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى أنها تعطي للكلام رونقا لأن النفس يعرض لها عند الشعور شيء يطلع إلى مناسبة فلا يرد إلا بعد تشوف، ولا كذلك المباين ، فلذلك يقبح ذكر الشيء مع مباينه في المعنى المذكور فيه ولذلك قبح قول الكميت[١]:

أم هل ظعائن بالعلياء رافعة وقد تكامل منها الدل والشنب

فإن - الدل والشنب- لا مناسبة بينهما [٢].

ويرى ابن القيم أن التباين في المباني ليس بمستقبح وقد ورد في القرآن الكريم منه كثير مثل قوله تعالى :" ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم"(البقرة الآية ٧).

وهذا الفن هو ما يسميه البلاغيون مراعاة النظير .

المزلزل :

وهو أن يكون في الكلام لفظة لو غير وضعها أو إعرابها تغير المعنى[٣] ومنه في القرآن العظيم كثير مثل :" ويل يومئذٍ للمكذبين" (المرسلات الآية ١٥) وهذا الفن ماصطلح البلاغيون على تسميته المتزلزل كما ذكره الرازي [٤].

المحتمل الضدين:

وهو أن يكون الكلام محتملا للشيء وضده ومنه في القرآن الكريم كثير ذلك قوله تعالى :" وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا" (الكهف من الآية ٧٩)

---

(١) في ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع داوود شلوم، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩ ص٩٣:

هل أنت عن طلب الايفاع منقلب أم هل يحسن من ذي الشيبة اللعب

وقد رأينا بها حورا منعمة بيضا تكامل فيها الدل والشنب

(٢) الفوائد المشوق ص ١٣٧.

(٣) المصدر السابق ، ص٢٣٨.

(٤) نهاية الإيجاز ص ١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحتمل أن تكون وراءهم بمعنى أمامهم أو هي بمعنى وراءهم.[١]

ومثل قول بشار لرجل أعور:

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء

ومثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم " من جعل قاضيا ذبح بغير سكين" ولا يختلف ما جاء به ابن القيم عما أورده البلاغيون قبله في الحديث حول المحتمل للضدين وإن قصره بعضهم على المدح والذم كما فعل الرازي[٢]

المغالطة :

وهي ذكر الشيء وما يتوهم مقابلا له وليس كذلك.

واشتقاقها من الغلط[٣].

وهي على أقسام منها:

- أن يذكر الشيء وما يتوهم مقابلا له ويسمى مغالطة النقيض كقول الشاعر:

وما أشياء نشريها بمال وإن نفقت فأكسد ما تكون

حيث أوهم بنفقت النفاق السوقي ، وهو رواج السلعة ومراده الموت.

- مغالطة المثل : وهي أن يذكر مع الشيء مثله كقول الشاعر:

وخلطتم بعض القرآن ببعضه فجعلتم الشعراء في الأنعام

- الألغاز والأحاجي:

---

(١) الفوائد المشوق، ص ٢٤٧.

(٢) نهاية الأعجاز ص ١٤٨.

(٣) الفوائد المشوق ص١٨١ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه ما ورد في القرآن الكريم في أوائل السور من الحروف المفردة والمركبة وقوله تعالى في قصة ابراهيم " أأنت فعلت هذا بألهتنا يا ابراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا "(الأنبياء من الآية ٦٢من٦٣) قابلهم بهذه المغالطة ليقيم عليه الحجة ويوضح لهم المحجة.

ويلفت النظر أن هذا الفن ورد عند البلاغيين بمسميات كثيرة وكان الجرجاني[١] أول من أطلق عليها المغالطة، وجعلها العلوي [٢] وغيره ضمن التورية .

النادر والبارد :

يرى ابن القيم أن البارد ليس في القرآن العظيم منه شيء ، وأما النادر فإن القرآن مشحون به فإن أكثر ألفاظه نادرة الوجود ومعانيه مستوفية للمقصود. كل كلمة منه جامعة لمعانٍ شتى وكل آية تحتوي على معانٍ لغير المتكلم به لا تتأتى[٣].

من ذلك قول الله تعالى في قصة الطوفان :" حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور" إلى قوله " وقيل بعدا للقوم الظالمين " (هود الآية ٤٠-٤٤).

التطريز:

وهو أن تأتي قبل القافية بسجعات متناسبة ، فيبقى في الأبيات أواخر الكلام كالطراز في الثوب[٤] ، مثل قول الشاعر :

أمسي وأصبح من هجرانكم دنفا يرثي لي المشفقان الأهل والولد

قد خدّدَ الدمعُ خدي من تذكركم وهدني المضنيان الشوق والكمد

---

(١) السيوطي(٩١١هـ)، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م، ٢٩.

(٢) الطراز، ٣/٦٣.

(٣) الفوائد المشوق ،ص٢٦٦.

(٤) الفوائد المشوق ،ص ٣٦٣-٣٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى ابن القيم أن هذا الفن استخرجه المتأخرون وليس في شعر القدماء منه شيء ، وهو عنده على ثلاثة أقسام :

الأول : ما له علمان : علم من أوله وعلم من آخره .

الثاني : ما له علم من أوله .

الثالث : ما له علم من آخره .

ومثال الأول قوله تعالى :" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ... إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والأرض ... إن في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق ... إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون " (الروم ٢١-٢٤)

ومثال الثاني قوله تعالى:" هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هوالرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن ... هو الله الخالق البارىء ... وهو العزيز الحكيم" (الحشر الآية ٢٢-٢٤)

ومثل ذلك شعرا قول البحتري :[1]

تعلو الوفود ثلاثة في أرضه إفضاله وجداه والأنعام

وثلاثة تغشاك مهما زرته إرفاده والمن والكرم

وثلاثة قد جانبت أخلاقه قول البذا والزور والآثام

وثلاثة في العز من أفعاله تدبيره والنقض والأبرام

---

(١) في ديوان البحتري ، شرح د. محمد التونجي ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، ٢/١٠٨٦

يعلو الشأم ثلاثة في أرضها إفضاله وجداه والأنعام

وثلاثة تغشاك إمازرته إرفاده والبر والإكرام

وثلاثة قد جانبت أخلاقه منها البذا والزور والآثام

وثلاثة في الغر من أفعاله تدبيره والنقض والإبرام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثال الثالث قول الله تعالى :" خلق الأنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان..." (الرحمن الآية ١٤،..)إلى آخر السورة ، وقوله سبحانه وتعالى " ويل يومئذ للمكذبين " في سورة المرسلات إلى آخرها .

ونجد أن ابن القيم قد تابع العسكري[١] في تعريفه للتطريز ، لكن ابن ا لقيم قد بسط فيه القول ومد فيه النظر مستعينا بما يمده القرآن من أمثلة دالة وشواهد معينة.

الرجوع والإستدراك :

ويجعله ابن القيم من أنواع الاعتراض ويرى أنه على قسمين :

الأول : أن تذكر شيئا وترجع عنه كقول زهير:

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم[٢].

الثاني : هو أن يبتدىء كلامه بما يوهم السامع أنه هجو، ثم يستدرك ويأخذ في المدح كقول أبي مقاتل الضرير:

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان

وهو غير مستحسن[٣].

ونرى أن ابن القيم قد جمع بمفهومه هذا شتات الأقوال ، إذ أن علماء البلاغة قد اختلفوا في تقسيم الرجوع والاستدراك فمنهم من جعلها شيئا واحدا باسم الرجوع كابن المعتز[٤] والعسكري[٥]. ومنهم من جمع بين الاستدراك والاستثناء

---

(١) الصناعتين، ص ٤٨٠.

(٢) ديوان زهير، ص٩٨. ١٤٥.

(٣) الفوائد المشوق ،ص ٢٥١.

(٤) ابن المعتز، البديع ، ط١ دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠، ص١٥٤.

(٥) الصناعتين ، ص ٤٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كابن الأثير الحلبي [١]، وآخرون فرقوا بينهما كالمصري في التحرير والتجبير.

واختار ابن القيم هذا التسمية وجعلها على نوعين الأول للرجوع والثاني للأستدارك.

التشعيب :[٢]

وهو أن يكون في صدر الكلام كلمة من عجزه مثل قوله تعالى :" قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام " (البقرة من الآية ١٤٤).

ونجد أن البلاغيين يعرفون التشعيب بأن يكون في المصراع الثاني كلمة من المصراع الأول، ولعلنا نلحظ أن ابن الجوزية قد وسّع مفهومه للتشعيب ليشمل التطبيق الميدان القرآني إضافة إلى الشعر.

التفقير:[٣]

وهو أن يأتي في البيت ذكر نكتة أو بيت أو رسالة أو خطبة أو غير ذلك فيومىء إليها الشاعر أو الناثر، مثل قوله تعالى :" فيهن قاصرات الطرف" (الرحمن من الآية ٥٦)، فإن امرأ القيس أومىء إليه بقوله :[٤]

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الأنف منها لأثرا

والغريب أن هذا المضمون يرد عند أسامه ابن منقذ بمصطلح يسميه التقفية، ويبدو لي أنه الأصح وهو مقصود ابن الجوزية وما اختلاف التسمية - في ظني - إلا خطأ وقع به الناسخ ، والله أعلم .

---

(١) ابن الأثير الحلبي جوهر الكنز، ص ٢٤٦.

(٢) الفوائد المشوق ،ص ٢٥٦.

(٣) الفوائد المشوق، ص٣٢٩.

(٤) ديوان امريء القيس، ص٦٨، .. فوق الإتب، .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفويف :

يورد ابن القيم لهذا الفن معنيين:

الأول : أن تكون ألفاظه سهلة المخارج عليها رونق الفصاحة ، وبهجة الطلاوة وعذوبة الحلاوة مع الخلو من البشاعة ، ملطفة عند الطلب والسؤال ، مخففة عند الفخار والنزال ...

الثاني : هو الذي يكون فيه التزامات لا تلزم تكتب بأصباغ مختلفة حتى يفطن للالتزامات التي جعلت عليه .

ويرى أن القرآن الكريم لا يخلو من التفويف على المعنين[١]، في حين نرى أن التفويف عند علماء البلاغة هو اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح أو الغزل أو غير ذلك من الفنون والأغراض كل فن في جملة من الكلام منفصلة عن أختها بالتجميع غالبا مع تساوي الجمل المركبة في الوزنية[٢].

ولعل نظرة إلى اشتقاق كلمة التفويف في اللغة [٣] تخبرنا أنها من الثوب الذي فيه خطوط بيض وأصلها من الفوف وهو بياض يكون في الأظفار .

مما سبق نجد أن ابن القيم جعل التفويف في معناه الثاني على ما تحمله دلالة الكلمة اللغوية من تباين الألوان وبروزها ، وهو في ظني بعيد عن التفويف إلا كما ورد عند البلاغيين من تمازج الألوان الكلامية المختلفة في جمل الكلام وهو المعنى المستفاد من التفويف ، وهو في الشعر والقرآن الكريم كثير .

فمنه قول المتنبي :[٤]

---

(١) المصدر السابق ص ٦٨..

(٢) تحرير التحبير المصري، ص٢٦٠، وبديع القرآن ص٩٨.

(٣) لسان العرب لابن منظور ، مادة (فوف) مجلد ٩ ص ٢٧٣.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح العكبري ، تصحيح مصطفى السقا وأخرين،دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٨م، ٣/٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقل أنل إقطع احمل عل سل أعد زد هش بش تفضل أدن سر صل

وقوله تعالى :" الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين" (الشعراء الآية ٧٨-٨٠).

التقسيم :

وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء ، مثل قوله تعالى:" والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ... " إلى قوله :" ما يشاء" (النور من الآية ٤٥).

وقول زهير:[١]

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمِ

ويرى ابن القيم أن البلاغيين لم يريدوا بالقسمة هنا القسمة العقلية لأنها تقتضي أشياء مستحيلة ، وإنما أرادوا بالتقسيم ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده وهو أن يأتي المؤلف إلى جميع أقسام الكلمة المحتملة فيستوفيها غير تارك منها قسما واحدا.[٢]

ونجد ابن القيم يقترب كثيرا مع البلاغيين الذي بحثوا هذا ضمن حديثهم عن التقسيم الصحيح الذي يعني أن تقسم الكلام على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه .[٣]

الحمل على المعنى :

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعه ابو العباس الشيباني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م ،ص ٢٩.

(٢) الفوائد المشوق ، ص ١٣٣-١٣٤.

(٣) كتاب الصناعتين، ص ٣٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث ، وتصور معنى الواحد للجماعة والجماعة للواحد، وحمل الثاني على لفظ الأول أصلا كان ذلك اللفظ أو فرعا أو غير ذلك [١].

من ذلك قوله تعالى :" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة" (النساء من الآية ١) والمراد به آدم عليه السلام.

وكذلك قول الشاعر :

أتهجر بيتا بالحجاز تلفعت به الخوف والأعداء من كل جانب

الإشارة :

وتسمى الوحي أيضا وهي أن تطلق لفظا جليا تريد به معنى خفيا، وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظم مثل قوله تعالى :" ولا تقل لهما أف" (الإسراء من الآية ٢٣) إشارة إلى بر الوالدين [٢].

ويرى ابن القيم أنها تقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : الأيماء وهو ما تقدم .

الثاني : أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكبير مثل قوله تعالى:"وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين " (الزخرف الآية ٧١).

الثالث: المعميات والألغاز، وقد ذكره في أقسام المغالطة [٣] أيضا.

الرابع : التورية : وهي أن تكون الكلمة تحمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد

---

(١) الفوائد المشوق ، ص١٥٣.

(٢) المصدر السابق ، ص١٨٥.

(٣) الفوائد المشوق ، ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

احتماليها ويهمل الآخر ، ومراده ما أهمله لا ما استعمله .

كما يَرى ابن القيم أن الإشارة تكون في الحسن والكناية في القبيح[١].

ونلمح في تقسيم ابن القيم عودة لتقسيم السكاكي للكناية حيث قسمها إلى تعريض وتلويح ورمز وايماء وإشارة [٢].

التورية :

وهي عنده أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى أخر، وهو في القرآن العظيم كثير، منه قوله تعالى :" حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل اللهِ اللهُ أعلم حيث يجعل رسالته" الآية (الأنعام من الآية ١٢٤). فاسم الجلالة الأول مضاف إليه والثاني مبتدأ [٣].

وملفت للنظر أن هذا المضمون يرد عند المصري في بديعه تحت مسمى الترديد[٤]، وغالب الظن أن ابن القيم أراد بهذا الفن الترديد حيث أنه عرف التورية بمعناها المشهور في حديثه عن الإشارة، وما تسمية التورية في هذا الموطن إلا تصحيف من الناسخ ، والله أعلم .

التجزي :

وهو أن يكون الكلام مجزأ ثلاثة أو أربعة أجزاء [٥]. مثل قوله تعالى :" إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر" (الكوثر الآية ١-٣).

---

(١) المصدر السابق، ص١٨٦.

(٢) السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ص ١٧٠.

(٣) الفوائد المشوق ، ص٢٠١.

(٤) بديع القرآن ص ٩٦ وتحرير التحبير ص٢٥٣.

(٥) الفوائد المشوق، ص٣٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكقول المتنبي :[١]

فنحن في جدل والروم في وجل والبحر في خجل والبر في شغل

ولا يختلف هذا المضمون عما جاء به البلاغيون غير أننا نجده عند غيره تحت مسمى التجزئة كما عند ابن المنقذ [٢].

الاختصاص :

وهو عند الأصوليين التخصيص ، وهو عند بعضهم : إخراج صورة من حكم كان يقتضيها الخطاب به لولا التخصيص ، وهو شبيه بالنسخ من حيث اشتراكهما في اللبس ومن حيث أن كل واحد منهما يقتضي اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ [٣].

لكنه يفترق عنه في عدة أمور أهمها : أن الناسخ أبدا لا يكون إلا متأخرا عن المنسوخ وأن النسخ لا يكون إلا بخطاب رفع به حكم الخطاب الأول وغيرها ولا يحسن إلا أن يكون الاختصاص بمعنى ظاهر مثل قوله تعالى : وإنه هو رب الشعرى" (النجم الآية ٤٩) اختصها دون سائر النجوم لأنها عبدت [٤].

---

(١) في ديوان المتنبي ، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ط٢، دار القلم-شرح ناصيف اليازجي بيروت:

فنحن في جذل والروم في وجل والبر في شغل والبحر في خجل .

(٢) البديع في نقد الشعر، ص ٦٣.

(٣) الفوائد المشوق ص٢٢٦

(٤) المصدر السابق ص٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبارات التخصيص ثلاثة :

الأولى : إنما جاءني زيد .

الثانية: جاءني زيد لا عمرو.

الثالثة: ما جاءني إلا زيد .

فيفهم من الأولى تخصيص مطلق المجيء أو تخصيص مجيء معين ظنه المخاطب مخصوصا بغيره ، أو مشاركا غيره فيه فأفاد اثباته لزيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة، ومن الثانية في دفعتين والثالثة بأصل الوضع تفيد نفي التشريك.[١]

ونرى ابن القيم ينقل في هذا المقام كلام ابن الأثير الذي يرى أن التخصيص في إعمال العام في النفي والخاص في الإثبات، فإن إثبات الأنسانية يوجب إثبات الحيوانية ولا يوجب نفيها نفي الحيوانية [٢]مثلا.

ففي قوله سبحانه :" مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم " (البقرة من الآية ١٧) ولم يقل بضوئهم ، لأن ذكر النور في حالة النفي أبلغ من حيث أن الضوء فيه الدلالة على النور والزيادة فالغرض من قوله " ذهب الله بنورهم " إنماهو إزالة النور عنهم رأسا فهو إذا أزاله فقد أزال الضوء.....

ما يقرأ من الجهتين :

وهو عند أرباب علم البيان العكس والتقليب ، أو ما لا يستحيل بالانعكاس أو مقلوب الكل .[٣]

---

(١) المصدر السابق، ص٢٢٨.

(٢) الفوائد المشوق ، ص٢٣٩.

(٣) الفوائد المشوق، ص٣٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو على أربعة أنواع :

الأول : قلب البعض مثل قول الرسول (ص) :" اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا"

الثاني : مقلوب الكل : مثل قولهم كفه بحر وجنابه رحب .

الثالث : المجنح : وهو أن يقع مقلوب الكل في جناح البيت، أو جناحي المصراع كقوله:

لاح أنوار الذي من كفه في كل حال

الرابع : المسوى: وهو أن يقرأ طردا وعسكا من الجهتين، كقوله تعالى :" كل في فلك" (يس من الآية ٤٠) و" ربك فكبر" (المدثر من الآية ٣).

ونجد هنا أن ابن القيم اعتمد في إطلاق مصطلحه على وصف مضمون المصطلح بإطاره العام. ثم إنه فصَّل القول حول ذلك متبعا طريقته في التقسيم والتفصيل والتمثيل .

الوصف :

وذكره ابن القيم فيما يختص بالمعاني ويرى أن أحسنه ما يكاد يمثل الموصوف عيانا إذ أن الوصف أصله الكشف أو الإظهار ، من قولهم وصف الثوب الجسم إذا لم يستره ونم عليه [١].

كما يرى أن الوصف قريب من التشبيه إلا أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز والوصف راجع إلى حقيقته وذاته. وفي القرآن العظيم والكلام الفصيح منه كثير، ولا أدل على ذلك من وصف الله لبقرة بني إسرائيل .

المدح والذم :

أبرز ابن القيم هذا القسم ضمن حديثه ، وذلك لامتداده على مساحة واسعة من القرآن الكريم ، إذ خص المدح للمؤمنين والذم للكافرين ، ويرى أن مدح القرآن

(١) الفوائد المشوق، ص٢٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدح على الحقيقة، وذمه ذم على الحقيقة [١].

ويورد ابن القيم الأوصاف التي يمدح بها نقلا عن قدامة وهي العقل والشجاعة والعفة والعدل .

أما صفات الذم فهي أضدادها .

ومثال المدح قول الشاعر :

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يُهلك المالَ نائلُه

الحمد والشكر:

ويبرز تحت هذا المصطلح اختلاف العلماء في تعريفهما حيث يرى قوم أن الحمد هو ذكر ما في الأنسان من المآثر الحسنة.والشكر ثناء يقصد به مجازاة النعم.

وقول آخرين أن الحمد وصف الخلال والشكر وصف الفعال وقول بعضهم أن الحمد والشكر سواء.

ويختار ابن القيم أن الحمد أعم من الشكر ويسهب في إبراز وتوضيح ذلك[٢]

الرثاء والتعزية :

ويبرز ابن القيم حول هذا المصطلح معناهما إذ يرى أن الرثاء مدح الميت بما كان فيه من المناقب المذكورة والمحاسن المأثورة مثل قوله تعالى:" وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين" (الصافات الآية ١٠٩- ١١١).

أما التعزية فهي أن يذكر ما يتوصل به إلى تسلية مخلفي الميت وتصبيرهم وإطفاء نار ثكلهم ومنه قوله تعالى :" الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون..." (البقرة الآية ١٥٦)

---

(١) المصدر السابق ،ص٢٨٨.

(٢) الفوائد المشوق ، ص٢٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو في الشعر والقرآن كثير.[١]

ومن لطيف ابن القيم في هذا البحث هو تطبيقه على القرآن الكريم وتدعيم أركان هذا الفن بشواهده الجزلة .

الشكاية :

وهي في القرآن الكريم على قسمين :

- ملفوظ بها مثل قوله تعالى :" إنما أشكو بثي وحزني إلى الله" (يوسف من الآية ٨٦) .

- وإما غير ملفوظ بها مثل قوله سبحانه :" قال ابن أمّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني" (الأعراف من الآية ١٥٠).

وهي في الشعر كثيرة وعلى القسمين ، مثل قوله :

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكى ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر[٢]

الحكاية :

وهو أن يحكي كلام المتكلم إما بلفظه أو بمعناه، والقرآن العظيم مشحون بذلك.[٣]

وهو على قسمين : ظاهر : كقوله تعالى:" قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها..." (البقرة من الآية ٣٠)

ومقدر مثل : " ما أصابك من حسنة فمن الله ...." (النساء من الآية ٧٩).

الاقتضاء:

وهو طلب الموعود بالوعد السالف وهو على ضربين:

---

(١) المصدر السابق ٢٩٦.

(٢) الفوائد المشوق ص٢٩٨.

(٣) الفوائد المشوق ص ٣٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حسن مرغوب فيه لأنه يحصل المقصود وينجز الموعود.

- خشن مذموم وهو سبب الحرمان وحسم لمادة الإحسان .

وقد وقع في القرآن القسمان ، أما الأول فمنه :" ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد" (آل عمران الآية ١٩٤).

وأما الخشن فقوله تعالى:" وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء " (الأنفال من الآية ٣٢).

ونرى أن ابن القيم أبرز الاقتضاء لشيوعه في القرآن وركز من معينه شواهده في حين أغفل ذكر الشواهد الشعرية مع أنه نص على أنه يرد كثيرا في الشعر[١].

التذكير :

وهو التنبيه لمن غفل أو سهى عن شكر نعمة أسديت إليه ومن أزلفت لديه نسيها أو تناساها لتقوم عليه حجة المنعم[٢].

وهو في القرآن كثير .

ويرى ابن القيم أن الفرق بين الاقتضاء والتذكير أن التقاضي لابتعاد حصول المطلوب لطول مدة انتظار المرغوب والتذكار إنما يكون عن غفلة أو نسيان.

الوعد والوعيد :

أما الوعد فهو إطماع بإحسان في المستقبل وهو على قسمين :

- متحقق الوقوع : وهو وعد الله سبحانه .

- مرجو وقوعه : وهو وعد العباد.

والوعد يكون في الخير والشر لكنه في الخير أكثر.

---

(١) المصدر السابق ،ص٣٠١.

(٢) المصدر السابق، ٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الوعيد فهو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيرا من الوقوع في المخالفات، وهما في القرآن كثير [١].

ويبدو لي أن تكاثر الأمثلة في هذا المنحى في القرآن الكريم كان منطلق ابن القيم في إسهابه حول هذا الفن.

العتاب والإنذار :

وهو دليل بقاء المودة ودوام عقد الألفة والصحبة، و الغرض به إزالة ما في النفوس من الوحشة [٢].

ومنه في القرآن كثير مثل قوله تعالى:" عفا الله عنك لم أذنت لهم" (التوبة من الآية ٤٣) وكذلك قوله :" وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين" (غافر من الآية ١٨).

الإعتاب :

يرى ابن القيم أنه رجوع الإنسان عما عتبت عليه بسببه يقال عتبته فاستعتب[٣] . ومنه قوله تعالى :" فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين" (فصلت الآية ٢٤).

الاعتذار :

وهو التوسل إلى محو الذنب وإزالة أثر الجرم، مأخوذ من قولهم اعتذرت المنازل إذا درست[٤] ، ومنه قوله سبحانه :" يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا " (التوبة من الآية ٩٤).

---

(١) الفوائد المشوق ،ص ٣٠٣.

(٢) الفوائد المشوق،ص٣٠٥.

(٣) المصدر السابق ، ص٣٠٧.

(٤) المصدر السابق ، ص٣٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السهل الممتنع :

وهو الذي يظن من سمعه لسهولة ألفاظة وعذوبة معانيه أنه قادر على الإتيان بمثله فإذا أراد الإتيان بمثله عز عليه مثاله .[1]

والقرآن العظيم كله على هذا المنوال .

التضمين :[2]

وهو أن يضمن اسما معنى اسم لإفادة معنى الاسمين فتعديه تعديته في بعض المواطن وهو على أربعة أقسام :

الأول : مثل قوله تعالى : " حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق" (الأعراف من الآية ١٠٥) ضمن حقيقا معنى حريص ليفيد عليه أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه.

الثاني : أن تضمن فعلا معنى فعل آخر لإفادة معنى فعلين وتعديه أيضا في بعض المواطن وهو في القرآن كثير مثل قوله تعالى :" لا تشرك بي شيئا" (الحج من الآية ٢٦) ضمن لا تشرك معنى لا تعدل ، والعدل التسوية أي لا تسوي بالله شيئا في العبادة والمحبة.

الثالث : قوله عزوجل:" إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها" (القصص من الآية ١٠) ضمن لتبدي به معنى لتخبربه ليفيد الأظهار معنى الإخبار لأن الخبر قد يقع سرا غير ظاهر.

الرابع: قوله تعالى: عينا يشرب بها عباد الله " (الإنسان من الآية ٦) ضمن يشرب معنى يروي أو معنى يلتذ ليفيد الشرب والري أو الشرب والالتذاذ جميعا.

---

(١) الفوائد المشوق ،ص٣٣٨.

(٢) الفوائد المشوق ، ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا هو التضمين اللغوي ويختلف عن التضمين البلاغي، وهو ما نجده حرفيا عند الزركشي [١]. كما جعل ابن القيم هذا التضمين من أقسام المجاز في القرآن وهو ما نقله عن ابن عبدالسلام بأمثلته وشواهده.

ونرى أن ابن القيم قد اعتمد في تقسيم التضمين على ما جاء في القرآن العظيم ، في حين أن بعض البلاغيين يرون في تقسيم التضمين على وجهين، تضمين توجيه البنية. وتضمين توجيه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به [٢].

الاستطراد [٣]:

وهو عند ابن القيم التعريض بعيب أنسان بذكر عيب غيره لتعلق أو نفي عيب عن نفسه بذكر عيب غيره، مثل قوله تعالى:" وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم " (إبراهيم من الآية ٤٥)

وكقول الشاعر:

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر كرام وأنا لا نخط على الرمل

ونقل هذا الكلام الزركشي[٤] عن ابن القيم .

والغريب أن الاستطراد عند البلاغيين يدور حول ما أورده العسكري :"[٥] وهو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سببا إليه..." بمعنى أنه الخروج من موضوع إلى آخر ثم العودة إليه، وهو ما لا نجده في التعريف السابق عند ابن القيم .

ويرى ابن القيم أن الاستطراد في القرآن الكريم أسلوب لطيف جدا وهو

---

(١) الزركشي البرهان، ٣٣٨/٣.

(٢) الزماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، ط٢، دار المعارف ، مصر، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م، ص١٠٣.

(٣) الفوائد المشوق ، ص٢٠٠.

(٤) الزركشي، البرهان... ٣٠٠/٣.

(٥) الصناعتين ص٤٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوعان :

الأول : أن يستطرد من الشيء إلى لازمه، مثل قوله تعالى:" ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم " (الزخرف الآية ٩) ثم استطرد من جوابهم إلى قوله " الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ، والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره" (الزخرف الآية ١٠-١٣) وهذا ليس من جوابهم ولكن تقرير له وإقامة الحجة عليهم وغيرها من الآيات ...

الثاني : أن يستطرد من الشخص إلى النوع كقوله تعالى:" ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين" (المؤمنون الآية ١٣) فالأول آدم والثاني بنوه [١]....

وهذا الكلام يقرب في إطاره العام مما أورده علماء البلاغة حول الاستطراد.

واللطيف أن ابن القيم في مختلف مؤلفاته يميل إلى الاستطراد غالبا، متنقلا بين زهرة وأخرى في حقل عام ، وذلك ليحقق هدف التشويق ورفع الملل من جهة وحفظ العلم من جهة أخرى.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص١٦٤-١٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حول المصطلح البلاغي عند ابن القيم :

بعد هذا التجوال في ميدان بلاغة ابن قيم الجوزية واستقراء مصطلحاته لا بد من الخروج ببعض الملاحظات حول طبيعة هذه المصطلحات وأبرز سماتها :

أولا : بنى ابن القيم جل مصطلحاته على أساس معينه القرآني وطبيعة الاستخدام القرآني لتلك الظاهرة وذلك الفن ، من هنا نجده قد جاء ببعض الفنون البلاغية والتي لم ترد عند غيره وذلك بناء على تفهمه للنص القرآني وما ترمي إليه الآيات ، من ذلك العتاب والانذار والتذكير والاعتاب .... وغيرها.

وفي ظني أن ابن القيم في كتابه هذا جعل السمة القرآنية هي السمة الغالبة على بلاغته أو ما بحثه من فنون بلاغية لأن اهتمامه كان منصبا على دراسة القرآن بلاغيا.

ثانيا: نلحظ أن ابن القيم جعل مصطلحاته البلاغية على قسمين :

الأول جعله للمعاني والثاني للألفاظ.

وظني في هذا التقسيم يقتل روح البلاغة ، إذ أن البلاغة توأم من المعاني والألفاظ، أو هما كالرئتين في الجسم لا يمكن فصلهما أو التعامل معهما على أنهما شيئان مختلفان.

وأحسب أن ابن القيم قد جارى في تقسيمه العرف السائد في البلاغة، بالإضافة إلى أن السمة التعليمية في كتابه تميل إلى التقسيم والتفصيل .

وعلى هذا نجد في تقسيمه شيئا من التداخل فبعض الفنون البلاغية عنده تكون في قسم المعاني وهي عند غيره في الألفاظ والعكس فمثلا الكناية والتعريض عنده في علم المعاني وهما في علم البيان .

ثالثا : التجديد في التعامل مع المصطلحات البلاغية :

فنجده قد سمى بعض المصطلحات بأسماء جديدة ، وانفرد بذكر أخرى، وأهمل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البعض الآخر، فهو يسمي :

التجريد المحض : خطاب الغير

والتجريد غير المحض : خطاب المتكلم لنفسه.

والإرصاد : التسهيم

والمذهب الكلامي : الاحتجاج النظري .

رابعا: يلفت النظر في بعض مصطلحات ابن القيم أنها وصف لمفهوم المصطلح البلاغي عند علماء البيان ، فمثلا هو يسمي العكس والتقليب بما يقرأ من الجهتين وهو لفظ يصف أساس هذا الفن وما يجري فيه ، وكذلك بعض المصطلحات الأخرى كالحكاية والشكاية والعتاب والإنذار... وغيرها، والتي وصف بها ابن القيم ما جاءت به الآيات الشاهدة وجعلها من مصطلحاته .

خامسا : كثرة إطلاق المسميات على المصطلحات البلاغية فهو قد يورد للمصطلح أكثر من تسمية ولا يقتصر على إيراد اسم واحد له وإنما نجده يسمي مصطلحه بمعظم التسميات المتعارف عليها عند البلاغيين مثل التطبيق[١] الذي يسمى المطابقة والطباق والتكافؤ والتضاد ويسمي لزوم[٢] ما يلزم التطبيق والتجديد والاعنات ويسمي التصريح[٣] بعد الايهام بالتفسير وأما الاحتجاج[٤] النظري فيسمى المذهب الكلامي .... وغيرها الكثير.

هذه هي بعض الملاحظات حول مصطلحات ابن القيم البلاغية وطبيعتها ولعلنا بعد ذلك يمكننا القول أن ابن القيم تابع البلاغيين في رسم العديد من مصطلحاته ، كما ساهم في إبراز وتفصيل بعض من المصطلحات وأثمرت عقليته البلاغية وحسه المرهف للآي القرآني عن ولادة بعض المصطلحات البلاغية فهو قد أبرز جمالها وأذكى أريجها مزينا أياها بما استخرجه من شواهد قرآنية.

---

(١) الفوائد المشوق ،ص ٢١٥.

(٢) المصدر السابق ٣٥٩.

(٣) المصدر السابق ،ص٢٦٨.

(٤) المصدر السابق ،ص ٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاصة

يخلص الدارس لمؤلفات ابن قيم الجوزية إلى النتائج الآتية:

أولا: تميز ابن القيم بحس بلاغي أسعفه على تفسير متميز للقرآن الكريم وإبراز للطائف والنكت البلاغية فيه، وإثراء للنظرة التفسيرية للقرآن الكريم .

ثانيا: تناول ابن القيم البلاغة العربية من وجهة نظر قرآنية إذ كان درسه لها منصبا على خدمة القرآن الكريم فنجده كثيرا ما يعتمد النص القرآني لبيان المصطلح وتوضيحه وتدعيمه بالأدلة والشواهد . وكان انطلاقه ببلاغته من القرآن سببا في توسيع مفهوم بعض الفنون البلاغية كالتضمين .

ثالثا: وقف ابن القيم من البلاغة العربية موقف المستلهم والمتأثر بما أورده البلاغيون السابقون حول البلاغة وفنونها لكنه أضفى طريقته الخاصة بالشرح والتوضيح ملمحا متميزا لهذه الفنون ، فهو متأثر جامع أكثر منه مبدعا مبتكرا، لكن إبداعه يكمن في تميز طريقة عرضه المبنية على عنصر التشويق، وقدرته على إبراز ملامح بلاغية لم يتنبه لها السابقون والمعاصرون .

رابعا: أورد ابن القيم مصطلحات بلاغية لم ترد عند غيره بناها على تفهمه للنص القرآني وما ترمي إليه الآيات القرآنية مثل العتاب والتذكير والإنذار وغيرها، إضافة إلى المصطلحات البلاغية التي أيد بها من سبقه وعاصره من البلاغيين.
واللافت للنظر أنه أكثر في هذا الجانب من ذكر المصطلحات ومسمياتها وخاصة ما استخرجه من فهمه للآي القرآني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامسا: تظهر السمة التعليمية في كتابه " الفوائد المشوق إلى علوم ..." الذي خصه للدرس البلاغي حيث تناول فيه علوم البلاغة - أو علم البيان كما سماها - تناولا مبنيا على طريقة التعليم من حيث التفصيل والتقسيم والتوضيح وذكر الأمثلة والشواهد.

وقد أسبغ ابن القيم مع ذلك على تناوله للبلاغة الصفة الأدبية المرنة فتجده يبحث الفنون البلاغية بروح أدبية من حيث طرح الشواهد والتعامل معها .

سادسا: وعلى الرغم من زخم مؤلفات ابن القيم في مختلف المعارف والعلوم، إلا أن تأليفه البلاغي اقتصر على كتاب " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" مع طرق لبعض المسائل البلاغية في تفسيره وفي كتابه " التبيان في أقسام القرآن ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

(أ)

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد الجزري (-٦٣٧هـ)، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٦.

ابن الأثير، ضياء الدين نصرالله بن محمد الجزري (-٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

ابن الأثير، نجم الدين أحمد بن اسماعيل الحلبي (٧٣٧هـ)، جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، تحقيق محمد زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية بت.

أحمد ماهر البقري، ابن القيم الجوزية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٧.

أحمد ماهر البقري، ابن القيم من آثاره العلمية، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

أحمد مصطفى المراغي. تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ط١، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٠.

أسامة بن منقذ (-٥٨٤هـ)، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبدالمجيد، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن أبي الأصبع المصري العدواني (-٦٥٤هـ)، عبدالعظيم بن عبدالواحد، بديع القرآن، تحقيق حفني محمد شرف، ط١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧.

ابن أبي الأصبع المصري العدواني (-٦٥٤هـ)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

الأعشى: ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، شرح يوسف فرحات، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

الأعلم النحوي الشنتمري، أبي الحجاج يوسف بن سليمان، شرح ديوان حماسة أبي تمام، تحقيق علي المفضل حمودان، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

امرؤ القيس، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بت.

(ب)

بكر عبد الله أبو زيد ، التقريب لفقه ابن قيم الجوزية ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٩٨٥.

ابن بدران، عبدالقادر بن أحمد مصطفى(-١٣٤٦هـ)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، ط٢، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٧٩هـ.

البحتري، الديوان، شرح محمد التونجي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ت)

ابن تغري بردي (٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس حمد بن عبدالحليم الحراني(٧٢٨هـ)، مجموع فتاوى ابن تيمية الكبرى، تصحيح إسماعيل بن السيد إبراهيم، المطبعة الفنية، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم الحراني (٧٢٨هـ)، مجموعة الرسائل والمسائل، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(ج)

الجاحظ عمرو بن بحر (-٢٥٥هـ)، البيان والتبين، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧.

جلال الدين القزويني (٧٣٩هـ)، التلخيص في علوم البلاغة، شرح محمد دويدري، ط٢،دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢.

ابن جني، ابو الفتح عثمان (٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دارالكتب المصرية، ١٩٥٦م.

(ح)

الحافظ الذهبي (-٧٤٨هـ)، ذيول العبر في خبر من عبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن حجة الحموي (-٨٣٧هـ)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تصحيح إبراهيم الدسوقي، دار الطباعة المطبعة العامرة،مصر، ١٢٩١هـ.

ابن حجر العسقلاني (-٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الكتب الحديثة، بت.

الحريري، أبو محمد القاسم بن عبدالله (٥١٠هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، مكتبة المثنى، بغداد ، بت.

حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان حسان بن ثابت، ضبط عبدالرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، بت .

حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان حسان بن ثابت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

(خ)

ابن خلدون (٨٠٨هـ)، المقدمة، تحقيق علي عبدالواحد وافي،ط١، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

(د)

دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد،ط٢، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.

الداودي (-٩٤٥هـ)، طبقات الفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، بت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ر)

ابن رجب (-٧٩٥هـ)، الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، بت .

(ز)

الزركشي (-٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء التراث، القاهرة، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.

الزركلي، الأعلام، ط٩، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٩٠م.

الزمخشري، محمود بن عمر (-٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ترتيب محمد عبدالسلام شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

ابن الزملكاني، عبدالواحد بن عبدالكريم (-٦٥١هـ)، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م.

(س)

السخاوي، محمد بن عبدالرحمن بن محمد (٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر (-٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، مطبعة التقدم العلمية، مصر، بت .

ابن سناء الملك، ديوان ابن سناء الملك، تعليق محمد عبدالحق، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن الهند، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله (-٥٨١هـ)، نتائج الفكر في النحو، تحقيق محمد البنا، ط٢، دار الاعتصام، مكة المكرمة، ١٩٨٤م.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تقديم مصطفى البغا، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط٢، دار الفكر، ١٩٧٩م.

السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مطبعة الموسوعات، القاهرة، بت .

السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ)، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٨هـ -١٩٣٩م.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بيروت، بت .

(ش)

شاهين عطية، شرح ديوان أبي تمام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

الشيباني، أبو العباس ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشوكاني، محمد بن علي (-١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، دار المعرفة، بيروت.

(ص)

الصفدي، خليل بن أيبك (-٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، وزارة المعارف، استنبول، ١٩٤٩.

(ط)

طاهر سليمان حمودة، ابن قيم الجوزية وجهوده في الدرس اللغوي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ، ١٩٨٦.

أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح العكبري، تصحيح مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م.

أبو الطيب المتنبي، العرف الطيب في شرح أبي الطيب المتنبي، ط٢، ناصيف اليازجي، دار القلم ، بيروت ، بت .

(ع)

عبدالعظيم عبدالسلام شرف الدين، ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف.ط١، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٥٦م.

عبدالعظيم المطعني، المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم، بين مجوزيه ومانعيه، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٥م.

عبدالقادر النعيمي، الدارس في تاريخ المدراس، تحقيق جعفر الحسني، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عزالدين بن عبدالسلام الشافعي (٦٦٠هـ)، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، دار الحديث، القاهرة بت .

العسكري، أبو هلال الحسن بن سهل (٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر" تحقيق مفيد قميحة ،ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤.

علقمة الفحل، ديوان علقمة الفحل، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، ط١، دار الكتاب العربي، حلب، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

العلوي، يحيى بن حمزة (٤٧٩هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.

علي الجندي، فن التشبيه، القاهرة، ١٣٨٦هـ

ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.

(ف)

فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق إبراهيم السامرائي ومحمد بركات أبو علي ، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ق)

قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) ، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م.

القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، ط٣، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٩٨٤.

ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ترتيب وضبط محمد عبدالسلام ابراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

ابن القيم (٧٥١هـ)، اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية، تحقيق أبي حفص سيد إبراهيم بن عمران، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩١م.

ابن القيم، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق سعيد محمد الخطيب، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م.

ابن القيم، بدائع الفوائد، ضبط أحمد عبدالسلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

ابن القيم ، التبيان في أقسام القرآن، دارالفكر، تصحيح الشيخ طه يوسف شاهين، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن ، تقديم محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن القيم، التفسير القيم، جمعه محمد الندوي، حققه محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت بت .

ابن القيم، جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٢، دار العروبة، الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق وتقديم أحمد عبيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، مكتبة دار التراث، القاهرة ، تحرير الحساني، بت .

ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، الطبعة المنيرية، القاهرة، القاهرة، ١٣٥٧هـ .

ابن القيم ، الفوائد، الطبعة الأخيرة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت ، بت .

ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن القيم ، مختصر الصواعق المرسلة على الهجمية والمعطلة، اختصره الشيخ محمد الموصلي، تصحيح زكريا علي يوسف، ط٢، مطبعة الإمام، مصر، ١٣٨٠هـ

ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، تصحيح وتعليق محمود حسن ربيع، ط٢، مكتبة الأزهر، مصر ١٩٣٩م.

(ك)

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل (-٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل (-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تصحيح لجنة من الأساتذة المختصين بإشراف الناشر، ط١، دار الخير، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

كثير عزة، ديوان كثير عزة، جمع وشرح د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

الكميت، ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع داود شلوم، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩م.

(م)

محمد أحمد السنباطي، منهج ابن القيم في التفسير، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الرماني (-٣٧٦هـ) والخطابي (-٣٨٨هـ) وعبدالقاهر الجرجاني (-٤٧١هـ) ، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.

محمد بن علي الجرجاني(٧٢٩هـ)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق عبدالقادر حسين، دار نهضة، مصر، القاهرة.

محمد مسلم الغنيمي، حياة ابن القيم، المكتب الإسلامي ، دمشق، ١٩٧٧.

محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

ابن المعتز، عبدالله بن محمد (٢٩٦هـ)، البديع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٧٥هـ -١٩٥٦م.

منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٨٨.

(ن)

النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، شرح محمد الطاهر بن عاشور الشركة التونسية والشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٧٦م.

نذير حسن عتمة، مشاهد الخلق في المعصية، المكتب الإسلامي دمشق، ١٩٨٥.

الدوريات

محمد بهجت البيطار " حول كتاب التفسير القيم للندوي" ، مجلة المجمع العلمي العربي، مجلد ٣٠ جزء ٤، دمشق ، تشرين أول ١٩٥٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

الآية:

(١-٣) (الَم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)	١٩
(٤) (أولئك على هدى من ربهم ...)	٤٠
(٧) (ختم الله على قلوبهم...)	١٢١ . ١٣١
(١٦) (أولئك الذين اشتروا الضلالة ...)	٧٧
(١٧) (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً...)	٧٥-١٤٢
(٣٠) (قالوا أتجعل فيها من ....)	١٢٥
(٦٧) (وإذ قال موسى لقومه ...)	١٣٠
(٧١) (فذبحوها وما كادوا ...)	١٣٠
(١٤٤) (قد نرى تقلب وجهك ...)	١٣٦
(١٥٣) (إنّ الله مع الصابرين)	٧٦
(١٥٦) (الذين إذا أصابتهم مصيبة ...)	١٤٤
(١٧١) (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق...)	٧٧
(١٧٢) (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ..)	٢٩
(١٧٩) (ولكم في القصاص حياة ...)	٧١
(١٨٣) (كتب عليكم الصيام ...)	٦٤-٦٦
(١٩٦) (ثلاثة أيام في الحج ...)	١٢٠
(٢٣٠) (فإن طلقها فلا تحل له ...)	١٤٤
(٢٣٧) (وإن طلقتموهن من قبل ...)	١٢٦
(٢٣٨) (حافظوا على الصلوات ...)	٦٤ . ١٢٦
(٢٤٠) (والذين يتوفون منكم ...)	١٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٤٥) (من ذا الذي يقرض الله...) ٧٠

(٢٥٧) (الله ولي الذين آمنوا ...) ٦١-٧٨

(٢٦١) (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل ...) ٨٣

سورة آل عمران

الآية :

(١-٢) (آلم الله لا إله إلا هو ...) ١٩

(٢٦) (قل اللهم مالك الملك ...) ٢٣

(٩٦-٩٧) (إن أول بيت وضع للناس ...) ٦٥

(١١٣) (ليسوا سواء من أهل الكتاب...) ٤٧

(١٩٤) (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك..) ١٤٦

سورة النساء

الآية :

(١) (يا أيها الناس اتقوا ربكم ...) ١٣٩

(١٢)(ولكم نصف ما ترك أزواجكم ...) ٤٨

(١٩) (لا يحل لكم أن ترثوا النساء...) ٦٤

(٢٣) (حرمت عليكم أُمهاتكم ...) ٦٤

(٥٨) (إن الله يأمركم أن تؤدوا ...) ٦٤

(٧٩) (ما أصابك من حسنة ...) ١٤٥

(١٧٦) (إن امرؤ هلك ليس له ولد ...) ٢٨

المائدة :

الآية :

(٣) (حرمت عليكم الميتة ..) ٦٦

(٦) (فاغسلوا وجوهكم وأيدكم ...) ٦٢

(١٦) (يهدي به الله من اتبع ..) ٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٨) (وقالت اليهود والنصارى نحن ...) ١٢٩

(٤٥) (وكتبنا عليهم فيها أن ...) ١٢٥

(٥٤) (فسوف يأتي الله بقوم ...) ٩٨

سورة الأنعام

الآية :

(١) (الحمد لله الذي خلق السموات ...) ٦٠

(٣) (وهو الله في السموات والارض...) ٥٥

(٢٦) (وهم ينهون عنه ...) ١٠٠-١٠١

(٣٩) (والذين كذبوا بآياتنا ..) ٤١ ، ٧٧

(١٠٨) (ثم إلى ربهم مرجعهم ...) ٤٠

(١١٨) (فكلوا مما ذكر اسم الله ...) ٢٩

(١٢٤) (حتى نؤتي مثل ما أوتي ...) ١٤٠

(١٤٣ - ١٤٤) (ثمانية أزواج من الضأن ...) ٤٥

(١٥١) (قل تعالوا أتلُ ...) ٦٦

(١٥٢) (ولا تقربوا مال اليتيم) ٦٤

(١٥٣) (وأنّ هذا صراطي مستقيماً...) ٦٠-٧٨

سورة الاعراف

الآية :

(١) (الَمَص ...) ١٩

(١٧) (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن ...) ٦٢

(١٩) (اسكن أنت وزوجك الجنة ...) ٤٥

(١٠٥) (حقيق علي أن لا أقول على الله ..) ١٤٨

(١٥٠) (قال ابن أُم إن القوم ...) ١٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٧٥-١٧٦) (واتل عليهم نبأ الذي ...) ٨٠

(٧٩) (لهم قلوب لا يفقهون بها ...) ٧٩

سورة التوبة

الآية :

(٤٠) (لا تحزن إن الله معنا ..) ٧٦

(٤٣) (عفا الله عنك ..) ١٤٧

(٤٥) (فهم في ريبهم ...) ٤١

(٩٤) (يعتذرون إليكم إذا رجعتم ...) ١٤٧

(١١١) (إن الله اشترى من المؤمنين...) ٩٦

(١١٢) (التائبون العابدون ...) ٣٠

سورة يونس

الآية :

(٢٢) (هو الذي يسيركم في البر والبحر ...) ٥٩

(٣١) (قل من يرزقكم من السماء ...) ٥٧

(٦١) (وما يعزب عن ربك مثقال ...) ٥٤

سورة هود

الآية :

(٦) (وما من دابة في الأرض ...) ٤٠

(٣٧) (واصنع الفلك بأعيننا...) ٣٥

(٤٠) (حتى إذا جاءنا أمرنا ...) ١٣٣

(٤٤) (وقيل يا أرض ...) ١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة يوسف

الآية :

(٣) (نحن نقص عليك ..) ٣٦

(٤٦) (وسبع سنبلات خضر...) ٨٤

(٨٤) (يا أسفا على يوسف ...) ٩٩

(٨٦) إنما أشكو بثي وحزني ...) ١٤٥

سورة الرعد

الآية :

(١) (آلمرَ تلك آيات ...) ١٩

(٢٥) (أولئك لهم اللعنة) ٣٨

سورة الحجر

الآية :

(٢٢) (وأرسلنا الرياح لواقح ...) ٥٩

(٣٩ - ٤٠) (قال رب بما أغويتني ...) ٣٩

(٤١) (قال هذا صراط عليّ...) ٣٩-٦١

سورة النحل

الآية :

(٩) (وعلى الله قصد السبيل ...) ٤٠-٦١

(٤٨) (أولم يروا إلى ما خلق ...) ٦٠

(١٢٨) (إن الله مع الذين اتقوا...) ٧٦

سورة الاسراء

الآية :

(٢٣) (فلا تقل لهما أُف...) ١٣٩

(٤٤) (تسبح له السموات السبع...) ٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦٧) (وإذا مسكم الضر في البحر ...) ٢٨

(٨٣) (وإذا أنعمنا على الانسان ...) ٢٨

سورة الكهف

الآية :

(٢٢) (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ...) ٣٠-٣٣

(٦٤) (فارتدا على آثارهما قصصا ...) ٧٢

(٧٩) (وكان وراءهم ملك ...) ١٣١

(١٠٤) (وهم يحسبون أنهم يحسنون ...) ١٠٠

سورة مريم

الآية :

(٥) (وكانت امرأتي عاقر ...) ٤٦

(٧١) (وإن منكم إلا واردها ..) ١٢١

سورة طه

الآية :

(٣٩) (ولتُصنع على عيني) ٣٥

(٤١) (واصطنعتك لنفسي ...) ٣٦

(٩٤) (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني ..) ١٠٠

سورة الأنبياء

الآية :

(١٨) (ولكم الويل مما تصفون ...) ٣٢

(١٩) (وله من في السموات والأرض...) ٥٦

(٦٢ - ٦٣) (قالوا أأنت فعلت ...) ١٣٣

(٩٠) (فاستجبنا له ووهبنا له ...) ٤٥

(٩٨) (إنكم وما تعبدون من دون الله ...) ١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة الحج

الآية :

(١-٢) (يا أيها الناس اتقوا ربكم ...) ٤٩

(٢٦) (وطهر بيتي للطائفين ...) ٦٥-١٤٨

(٧٣) (إن الذين تدعون من دون الله ...) ٩٨

سورة المؤمنون

الآية :

(١٣) (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ...) ١٥٠

(١٥-١٦) (ثم إنكم بعد ذلك لميتون ...) ٢٩

(٥٤) (فذرهم في غمرتهم حتي حين) ٤١

(٦٩) (أم لم يعرفوا رسولهم ...) ٥٢

سورة النور

الآية :

(٤٥) (والله خلق كل دابة...) ١٣٣

سورة الشعراء

الآية :

(٦٠) (فاتبعوهم مشرقين ...) ٨٢

(٦١) (كلا إن معي ربي سيهدين ...) ٦١

(٧٨ - ٨٠) (الذي خلقني فهو يهدين ...) ١٣٨

(٤) (فكبكبوا فيها هم والغاوون ...) ٢٦

سورة النمل

الآية :

(٤٤) (وأسلمت مع سليمان لله ...) ٩٩

(٦٥) (قل لا يعلم من في السموات ...) ٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٧٩) (فتوكل على الله إنك على الحق ...) ٤٠

(٨٨) (صنع الله الذي أتقن كل شيء...) ٤٣

سورة القصص

الآية :

(١٠) (إن كادت لتبدي به لولا ...) ١٤٨

(١١) (وقالت لأُخته قصيه ...) ٧٢

سورة الروم

الآية :

(٢١-٢٤) (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم...) ١٣٤

(٤٦) (ومن آياته أن يرسل الرياح ...) ٥٨

(٤٨) (الله الذي يرسل الرياح ...) ٥٨

(٥٥) (ويوم تقوم الساعة يقسم ...) ٩٩

سورة الأحزاب

الآية :

(٦) (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ...) ٤٦

(٩) (فأرسلنا عليهم ريح وجنوداً ...) ٥٩

(٢٨) (يا أيها النبي قل لأزواجك ...) ٤٦

(٣٧) (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ...) ٤٥

سورة سبأ

الآية :

(٣) (عالم الغيب لا يعزب ...) ٥٤

(٢٤) (قل من يرزقكم من السموات ...) ٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة يس

الآية :

(٤٠) (كل في فلك يسبحون ...) ١٤٣

(٥٥ ، ٥٦) (إن أصحاب الجنة اليوم...) ٤٩

سورة الصافات

الآية :

(٢٢) (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ...) ٤٧

(٧٣) (ولقد أرسلنا فيهم منذرين ...) ١٠٠

(٧٩) (سلام على نوح ...) ٣٨

(١٠٩) (سلام على إبراهيم ..) ٣٨-١٤٤

سورة الزمر

الآية :

(٧١) (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا..) ٣١-٣٤

(٧٣) (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها ..) ٣١-٣٤

سورة غافر

الآية :

(١-٣) (حَم تنزيل الكتاب من الله ...) ٣١

(١٨) (وأنذرهم يوم الآزفة ...) ١٤٧

(٧٥) (ذلكم بما كنتم تفرحون ...) ١٠١

سورة فصلت

الآية :

(١٦) (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً...) ٥٩

(٢٤) (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم ...) ١٤٧

(٤٩) (لا يسأم الأنسان من دعاء الخير ...) ٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥١) (وإذا مسه الشر فذو دعاء...) ٢٨

سورة الشورى

الآية :

(١٤)(إن الذين أُورثوا الكتاب ...) ٤١
(٤٨) (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة ...) ٢٧

سورة الزخرف

الآية :

(٩) (ولئن سألتهم من خلق السموات ...) ١٥٠
(٧٠) (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم ...) ٤٩
(٧١) (وفيها ما تشتهيه الأنفس...) ١٣٩

سورة الاحقاف

الآية :

(٢٦) (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ...) ٧٩

سورة الحجرات

الآية :

(١٢) (يا أيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيراً...) ٨١
(١٤)(قل لم تؤمنوا ...) ٤٣

سورة ق

الآية :

(١٦)(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ...) ٦٢

سورة الذاريات

الآية :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٢) (وفي السماء رزقكم وما توعدون ...) ٥٦

(٢٣) (فورب السماء والأرض...) ٥٥

(٢٩) (فأقبلت امرأته في صرة ...) ٤٦

(٤١) (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم ...) ٥٨

سورة النجم

الآية :

(١-٢)(والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم ...) ٥٢

(٣-٤) (وما ينطق عن الهوى ...) ٣٧

(٤٥-٤٦) (وأنه خلق الزوجين ...) ٤٥

(٤٩) (وإنه رب الشعرى...) ١٤١

(٥٧) (أزفت الآزفة ...) ٩٩

سورة القمر

الآية :

(١٤) (تجري بأعيننا) ٣٥

سورة الرحمن

الآية :

(١-٤) (الرحمٰن علم القرآن ...) ١٩

(١٤) (خلق الإنسان من صلصال..) ١٣٥

(٥٦) (فيهن قاصرات الطرف) ١٣٦

(٦٦) (فيهما عينان نضاختان ..) ٢٣

سورة الواقعة

الآية :

(٤١) (وأصحاب الشمال وما ...) ٦٢

(٩٠-٩١) (وأما إن كان من أصحاب اليمين ..) ٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة الحديد

الآية :

(٣) (هو الأول والآخر ...) ٣١

(١١) (من ذا الذي يقرض ...) ٧٠

(٢٥) (لقد أرسلنا رسلنا ...) ١٠١

سورة الحشر

الآية :

(٢٠) (لا يستوي أصحاب النار...) ٤٧

(٢٢) (هو الله الذي لا إله...) ٥٩ ، ١٢٧

(٢٢-٢٣) (هو الله الذي لا إله الا هو ...) ٣٢ ، ١٣٤

(٢٤) (هو الله الخالق البارىء...) ٣٢

سورة الممتحنة

الآية :

(٩) (إنما ينهاكم الله عن الذين ..) ٦٤

سورة الطلاق

الآية :

(١٢) (الله الذي خلق سبع سموات...) ٥٣

سورة التحريم

الآية :

(٥) (عسي ربه إن طلقكن ...) ٣٠-٣٣

(١٠) (ضرب الله مثلاً للذين كفروا...) ٤٦

(١١) (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا...) ٤٦

سورة الملك

الآية :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٥-١٦) (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم ...) ٥٤

سورة ن

الآية :

(١٠-١٣) (ولا تطع كل حلاف مهين ..) ٣٥

سورة الحاقة

الآية :

(٦) (وأما عاد فأهلكوا بريح ...) ٥٩

(٤١-٤٣) (وما هو بقول شاعر قليلاً...) ٦٣

سورة نوح

الآية :

(١٠) (فقلت استغفروا ربكم ...) ١٣٠

سورة المدثر

الآية :

(٣) (وربك فكبر ...) ١٤٣

(٤٩-٥١) (فما لهم عن التذكرة معرضين ...) ٨٣

سورة القيامة

الآية :

(١٧) (إن علينا جمعه ...) ٤٠

(١٨) (فإذا قرأنه فاتبع ..) ٣٦

(٢٩) (والتفت الساق بالساق ...) ٩٧

سورة التكوير

الآية :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٧) (وإذا النفوس زوجت ...) ٤٧

(١٥-١٦) (فلا أُقسم بالخنس ...) ١٠٠

(٢٢) (وما صاحبكم بمجنون...) ٥٢

سورة طارق

الآية :

(١٧) (فمهل الكافرين ...) ١٢٠

سورة الغاشية

الآية :

(٢٥) (انّ الينا ايابهم ...) ٤٠

(٢٦) (ثم إنّ علينا حسابهم ...) ٤٠

سورة الفجر

الآية :

(٦) (الم تر كيف فعل ...) ١٠١

سورة الليل

الآية :

(١٢-١٣) (إنّ علينا للهدى ...) ٤٢

سورة العاديات

الآية :

(١١) (إن ربهم بهم يومئذ لخبير...) ١٠١

سورة الكوثر

الآية :

(١) (إنّ أعطيناك الكوثر ..) ١٤٠

سورة المسد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآية :

(١-٤) (تبت يد أبي لهب ...) ٤٦

(٤) (وامرأته حمالة الحطب ...) ٥٠

سورة الناس

الآية :

(١-٥) (قل أعوذ برب الناس ...) ٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
" لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد ..."	١٣
" ما أصاب عبداً قط همٌّ وحزن ..."	٢٥
" اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً..."	٥٩
خط رسول الله خطاً مستقيماً وقال : " هذا سبيل الله .."	٧٨
" من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة .."	٩٦
" حمي الوطيس .."	٩٨
"أما بعد ..."	٩٨
" السعيد من وعظ بغيره..."	٩٨
" الخيل معقود بنواصيها الخير ..."	١٠١
" اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا .."	١٤٣
" إنا إن شاء الله بكم لاحقون .."	٢٩
" أنت الأول فليس قبلك شيء .."	٣٢
" لا يقبل الله صلاة حائض إلاّ بخمار .."	٥٠
" من جعل قاضياً ذبح بغير سكين "	١٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الأبيات الشعرية

الصدر	العجز	اسم الشاعر	الصفحة
خاط لي	سواء	بشار بن برد	١٣٢
أم هل ظعائن	والشنب	الكميت	١٣١
ولست بمستبق	المهذب	النابغة الذبياني	٩٦
يمدون	قواضب	أبو تمام	٩٧
نأت سلمى	الوصب	-	١١٩
أتهجر بيتاً	جانب	-	١٣٩
جارية قد	أو تا	-	١١٩
رب خود	حسناتي	-	١٠٠
ورمت	الجمرات	-	١٠٠
وأفاضت	العبرات	-	١٠٠
حرمت	باللحظات	-	١٠٠
لم أنل	وفاتي	-	١٠٠
ورأت	البشارة	الأعشى	١٠١
أمسي	الولد	-	١٣٣
قد خدد	الكمد	-	١٣٣
من القاصرات	لأثرا	امرؤ القيس	١٣٦
وبروحي	بمحجر	-	١٢٩
ولا خير في	صبر	-	١٤٥
أنعى فتى	نفعا	-	١١٩
توهمت	سابع	النابغة الذبياني	١١٩
يستوجب	اقترف	-	١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقوله قل	سلف	-	١٢٥
مثقفات	القصفا	أبو تمام	١٢١
ألا يا ابن	لتبقى	أبو نواس	١٢١
وما لك	رزقاً	أبو نواس	١٢١
كأني لم	خلخال	امرؤ القيس	١٢٦
ولم أسبأ	اجفال	امرؤ القيس	١٢٦
بيض الوجوه	الأول	حسان بن ثابت	١٢٧
وبروحي	مبذولا	أبو تمام	١٢٨
وما منعت	القنابل	-	١٠١
لا كانت الشمس	الصقيل	ابن سناء الملك	١٢٣
وكم وكم	خليل	ابن سناء الملك	١٢٣
تكذب	سليل	ابن سناء الملك	١٢٣
وتحسب	الذليل	ابن سناء الملك	١٢٣
على مكثريهم	والبذل	زهير بن ابي سلمى	١٢٢
أقل أنل	سر صل	المتنبي	١٣٨
فنحن في جذل	شغل	المتنبي	١٤١
لاح أنوار	حال	-	١٤٣
ولا عيب فينا	الرمل	-	١٤٩
وخلطتم	الأنعام	-	١٣٢
تعلو الوفود	الأنعام	البحتري	١٣٤
وثلاثة	الكرم	البحتري	١٣٤
وثلاثة	الآثام	البحتري	١٣٤
وثلاثة	الإبرام	البحتري	١٣٤
قف بالديار	والديم	زهير بن أبي سلمى	١٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحمله الناقة	الظلما	حسان بن ثابت	١٠٠
كأن ابريقهم	ملثوم	علقة الفحل	١١٨
وأعلم ما في اليوم	عمٍ	زهير بن أبي سلمى	١٣٨
وما أشياء	تكون	-	١٣٢
لا تقل	المهرجان	أبو مقاتل الضرير	١٣٥
أطوفُ به	تعان	-	٦٦
والف منه	هيمان	-	٦٦
فوالله	الخفقان	-	٦٦
ولو أن عزة	لقضي لها	كثير عزة	٩٩
وشادنٍ	منادمه	المتنبي	١٠١
أخي ثقة	نائله	-	١٤٤
فهن المنايا	طريقها	-	٤٠-٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

٤٥٩٤٩٢

IBN QAYYIM AL - JAWZIYYA'S CONCEPT OF RHETORIC.

HUSSEIN . A. KETTANEH.

SUPERVISED BY : DR. MOHAMMAD . A. ABU HAMDAH.

Rhetroic and its fields occupied agood space of interest among the vast research works Conducted by Ibn Qayyem Al-Jawziyya in the areas of the Quranic,Fikh, and Philosophical Sciences. But his rhetorical works were not far - famed as much his other works because his fame in the study of the fundamentals of religion overcame that in the field of linguistics.

Ibn Al-Qayyem's studies were conducted mostly within the Quranic frame . Thus his work is a kind of applied rhetoric that involves the bulk of what rehetoricians have worked out paired with the examples from the Quranic fountain. Moreover, his rhetorical sense helped him obtain a distinguished understanding for the Holly Quran that enabled him to uncover puns, wit, and metaphors . In addition to this his way of directing Quranic Verses demonstrates the skill, and rhetorical devices Quran is abundant with . It , also, shows his ability to display wit , literary novelties , and puns to show the rhetorical aesthetics in Quran .

Ibn Al - Qayyem Classified a special section in his book " Al-Fawa'id Al- Mashooiq ila Olume Al-Qura'n Wa ILM AL -Bayan"[1], for the study of rhetoric, And emplemented his high sense of rhetoric

(1) It translates as " The Utilities Yearning to the Sciences of the Quran an Rhetoric.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

and literary knowledge within other works as well such as his book Al- Tibyan Fi Aksam Al - Qur'an[1], Badai' Al- Fawa'id[2], and his explanation of the Quran latent in most of his works.

And from the Quranic Fountain, Ibn Al- Qayyem builds his rhetoical expressions based on the nature of the usages of this phenomenon and art. Here we find his distinctness from others by his way of delining of the rhetorical expressions that did not show up in the works of other rhetoricians. But he went in accordance with some previous rhetoricians in many ideas concerning the rhetorical idioms and expressions with some elaboration at one time and brevity at another . In addition , Ibn Al-Qayyem based his researches on others works such as Ibn Al- Athir, Fakhr Eddin Al-Razi, and Sheikh Ezziddin Bin Abdussalam, not to mention others as he mentions in many areas of his books. Yet his distinctness and innovation appear in his presntation of some rhetorical subjects that serve the Quranic text and his understanding of the Quranic phenomenon through the literary spirit he obtained . With his additions and rhehtorical wit we find that the role he played was vital in restoring the wonderful garment , or should I say the golden fleece, Of the Arabic Rhetoric.

(1) Manifestation in the Quranic Swearings .
(2) Marvels of Utilities.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit